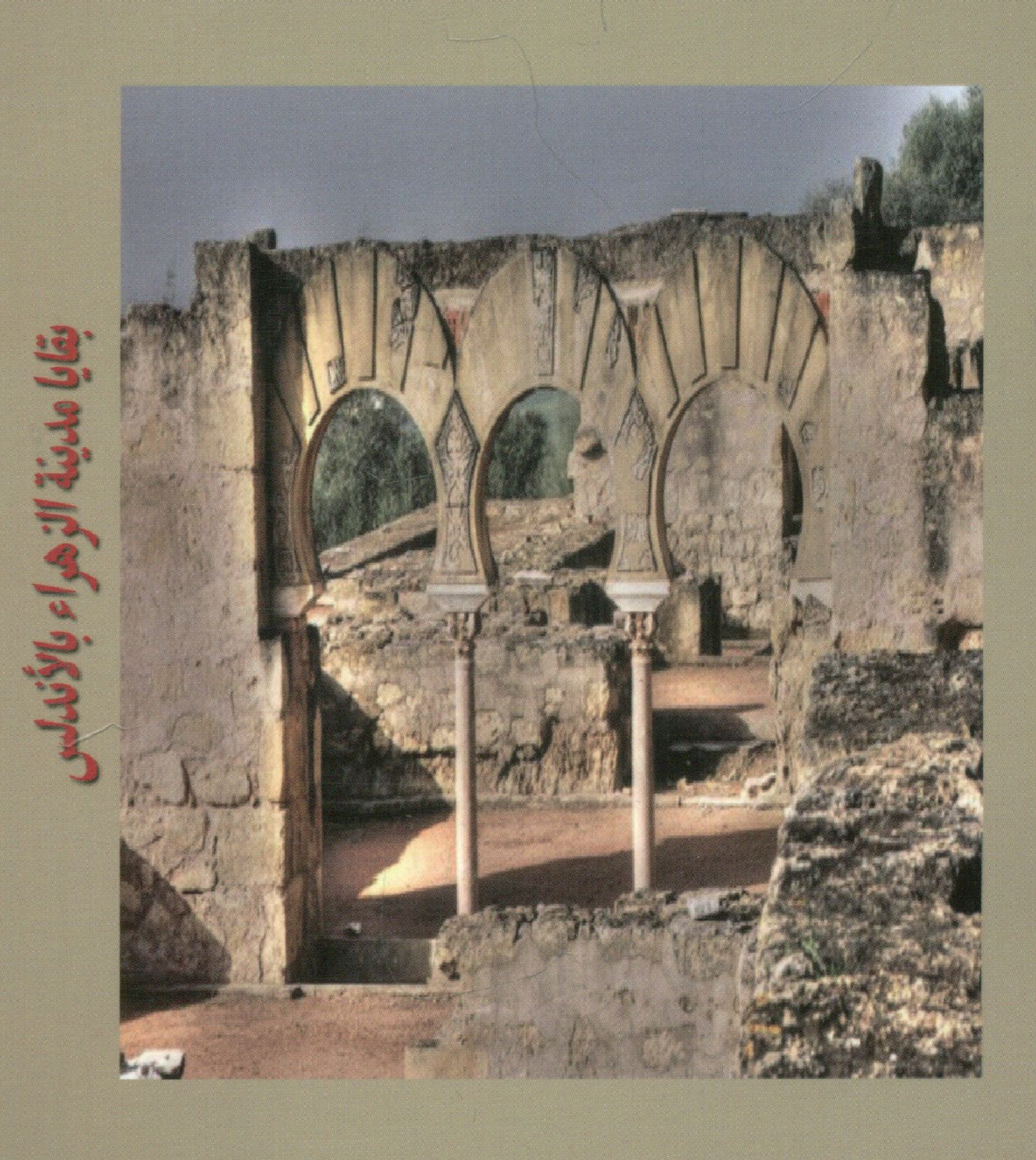
وزراء فى ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس



بقايا مدينة الزهراء بالأندلس

دكتور شعبان حمزة

الدار الثقافية للنشر

وزراء فى ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس

الدكتور شعبان حمزة
دكتـــــوراه فى تاريخ العصور الوسطى
عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

تقديم

الأستاذ فاروق جويدة

الدار الثقافية للنشر

حمزة، شعبان محمد خلف محمد.
وزراء في ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس.
شعبان محمد خلف محمد حمزة، تقديم فاروق جويدة.
ط١ ـ القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠١٥.
١٣٦ ص ، ٢٤ سم
تدمك ٥ ـ ٣٠٤ ـ ٣٣٩ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٧٧٦٠/ ٢٠١٥
١ ـ الأندلس ـ تاريخ.
٢ـ الحضارة الإسلامية.
٣ـ الوزراء
أ ـ فاروق جويدة (مقدم)
ب ـ وزراء في ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس.
٩٥٣,٠٧١

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

إن مادة هذا الكتاب والأفكار والرؤى المطروحة به تعبر فقط عن رؤية المؤلف وتوجُّهه الفكري ولا تعبر بالضرورة عن رؤية الناشر وتوجُّهه.

صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١
هاتف: ٠١٢٧٤٤٩٩٥٦٥ ـ ٠١٢٢٢١٥٧٢٨٧
www. dar-althakafia.com
Email: info@dar-althakafia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى
﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

﴿سورة طه﴾

إهداء

إلى زوجتي الغالية دكتورة كوثر علي

إلى أبنائي الأعزاء حمزة وحلا ونزار

تقديم

الشاعر فاروق جويدة

فى رحاب الأندلس

بيني وبين الأندلس قصة حب قديمة تداخلت فيها العقيدة والتاريخ والشعر والثقافة. . أحببت كثيراً تاريخ المسلمين فى الأندلس بوجهه الحضاري العظيم فقد استطاع المسلمون أن يقيموا دولة متحضرة تقوم على العلم والفكر والثقافة. . دولة سبقت العالم فى كل جوانب الحياة. . فى الوقت الذي كانت أوروبا فيه تعيش مرحلة من مراحل الظلام السياسي والفكري والحضاري. كانت هناك قطعة مضيئة فى قلب عالم مظلم قدم المسلمون فيها للغرب تجربة حضارية فريدة. . لم يستطع أحد حتى الكارهين للإسلام من مفكري أوروبا إنكار الدور الحضاري للأندلس وما قدمه المسلمون للحضارة الإنسانية مئات السنين فى هذه البقعة العزيزة من تاريخ المسلمين. . قرأت كثيراً فى تاريخ الأندلس ومازلت أذكر ليلة عبرت فيها السفينة التي كانت تحملني فى رحلة بحرية طويلة من جبل طارق وأنا فى طريقي لدول غرب أفريقيا، يومها تخيلت صورة طارق بن زياد وهو يعبر المضيق ويصيح بين رجاله البحر خلفكم والعدو أمامكم. .

بعدها قررت أن أكتب أولى مسرحياتي الشعرية وهى "الوزير العاشق" وهو أشهر الوزراء العشاق فى تاريخ الأندلس وربما فى تاريخ العرب. .

في هذه المسرحية سجلت واحدة من قصص العشق في تاريخ الأندلس بين ولادة بنت المستكفي وابن زيدون أشهر شعراء الأندلس والوزير الذي حمل وزارتين في وقت واحد الحربية والخارجية . . وطافت مسرحية الوزير العاشق أكثر من عاصمة عربية تتغنى بفترة من أعظم فترات التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . .

وحين زارني الدكتور شعبان حمزة لأكتب له مقدمة كتابه "وزراء في ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس" وجدتها فرصة لكي أستعيد مع القارئ العزيز فترة من فترات تاريخنا المجيد، إنها متعة رائعة أن تجد نفسك بعد مئات السنين تطوف حدائق قرطبة وتسمع من بعيد الموشحات الأندلسية وقصائد ابن زيدون وعطر ولادة، وتاريخ حافل للعلماء والأدباء والمفكرين ابن سينا وابن رشد وابن الهيثم والخوارزمي وكل هذه النجوم التي أضاءت في سماء الحضارة الإنسانية، وقصة أمة عظيمة شيدت صرحًا حضاريًا غير مسبوق في قلب أوروبا . . إنها حقًا رحلة ممتعة مع تاريخ عبقري وكتاب جاد نستعيد معه ذكريات ماض عظيم ومؤلم في ذات الوقت .

فاروق جويدة

الشاعر والكاتب بجريدة الأهرام

مُقَدِّمَة

عاشت بلاد الأندلس إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أزهى عصورها فى كافة النواحي السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وكذلك الثقافية، حتى أنها أضحت منارة القاصدين إليها من جميع الأرجاء والأنحاء، الراغبين فى العلم والسلطان، ولم يكن هذا يتم إلا فى ظل دولة قوية فتية وهى دولة بني أمية عهد الخليفتين عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر بالله، حيث عنيا برفعة دولتهم فوق كل الدول، وعملوا غاية جهدهم على حماية حدودها من أعدائها المتربصين بها، أخذين بأسباب العلم مولين جل اهتمامهم بالعلماء والرجال الأشداء، هؤلاء الذين قامت الدولة على أكتافهم، وفى كتابنا هذا والذي اخترت عنوانه: "وزراء فى ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس من القصر إلى القبر"، نماذج من هؤلاء الرجال، فجاء أولهم وهو الوزير والحاجب جعفر بن عثمان المصحفى، والذي كان مستشاراً مقربًا وحاجبًا للخليفة الحكم المستنصر، وولده هشام المؤيد، وقد لعب دوراً بارزًا فى السياسة الداخلية لدولة بني أمية، ثم جاء بعد ذلك الوزير والعالم كبير أطباء وصيادلة الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداى بن شبروط اليهودي، والذي برع براعة متميزة فى مجال الطب والسياسة والدبلوماسية، بما قام به مهام دبلوماسية أوكلها له الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولنثبت من خلاله ثلاثة أمور مهمة أولها: التقدم العلمي الذي وصلت إليه بلاد الأندلس تحت الحكم الإسلامي، وإدراك الحكام المسلمين لأهمية العلم وما يحققه من الرفعة والقوة، فنبغ فى أرجائها الكثير من العلماء. أما ثانيها: وهو أن اهتمام الدولة بالعلم لم يكن قاصراً على المسلمين وحدهم، بل شمل كذلك أهل الذمة من النصارى واليهود، والدليل على ذلك النبوغ الذي كان عليه حسداى بن شبروط، والذي لم يتم إلا برعاية

الخليفة عبد الرحمن الناصر له، الأمر الثالث أيضًا: أنه لثمة دليل قاطع على أن أهل الذمة قد حظوا بقدر كبير من العناية والأمن والأمان تحت ظل الدولة الإسلامية، وليس صحيحًا بالمرة ما يزعمه البعض من دعاة الفتنة والتفرق فى بلادنا من أن الإسلام والمسلمين يبغضون أهل الذمة، ويعملون على إقصاءهم. وها هو حسداى بن شبروط أحد الأمثلة التي تثبت عكس ما يدعون.

أما بالنسبة للجزء الثالث من الكتاب فهو يتحدث عن الوزير والقائد الذي أطلق عليه ذو السيفين، وأعظم فرسان الأندلس قاطبة، والدور العسكري الذي قام به على مدار حياته كلها، وما قام به من الفتوحات ضد أعداء الدولة الإسلامية سواء فى شمال الأندلس أو حتى فى الجنوب على أرض المغرب، لنؤكد من خلاله أن دولة بني أمية لم تقم هباءً، ولم تستمر إبان هذا العهد إلا برجال أخلصوا لها، فأخلصت هي لهم، مؤمنين بدينهم وبوطنهم وبعزه ومجده، فنالوا من التقدير والتحية والإجلال الكثير، فلتكن تلك كلمات لعلنا نستوعبها ونفهما، وكل ما نرجوه أن تتوحد قلوبنا وضمائرنا تحت هدف واحد، هو رفع راية الحق والدين، وإقامة العدل بين الناس ونصرة المظلوم والمستضعفين فى هذه البلاد، ليرعانا الله برعايته، ولتبقى بلادنا عزيزة قوية.

هذا وعلى الله قصد السبيل،،،

القاهرة في ٢ سبتمبر ٢٠١٥م

دكتور شعبان جمزة

الوزير جعفر بن عثمان المصحفي ودوره في البلاط الأموي بالأندلس
٣٢٥ـ ٣٧٢هـ/ ٩٣٦ـ ٩٨٢م

ـ الوزير جعفر المصحفي في البلاط الأموي وعلاقته بالحكم المستنصر.

وصلت رقعة بلاد الأندلس خلال عصر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[1] (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ـ ٩٦١م) وولده الحكم المستنصر بالله[2] (٣٥٠ـ٣٦٦هـ/ ٩٦١ـ ٩٧٦م)

---

(١) عبد الرحمن الناصر : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضى بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أعظم بني أمية بالمغرب سلطانًا ، كنيته أبو المطرف ، ولقب بالناصر لدين الله ، وأمه أم ولد تسمى "مزنة" ولى بقرطبة يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد ، وتوفى يوم الأربعاء من شهر رمضان سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، عرف عنه أنه كان أبيض ربعه أشهل ، حسن الجسم ، جميل ، بهي ، يخضب بالسواد ، والناصر كان أول من تسمى بأمير المؤمنين في الأندلس ، بعد أن دب الضعف فى الخلافة العباسية ، وخلف أحد عشر ولدًا ذكرًا. وقد بلغت الدولة الأموية فى عهده أقصى ما بلغت ، بسبب كثرة غزواته فى بلاد النصارى ، وجاءته الوفود والسفارات من كافة البلاد طالبة لرضائه وعونه من مملكتي ليون وقشتالة والدولة البيزنطية . عنه أنظر :

الخشنى القروي: قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الإبيارى (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م) ط٢، ص ٢٥ هامش ٤ ؛ الحميدى: جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م)، ص ١٢ـ١٣ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م)، مج٨، ص ٥٣٥ ؛ رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف(القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٥م)، ص ٢١٨ وما بعدها .

(٢) الحكم المستنصر : هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، كنيته أبو المطرف ، أمه اسمها "مهرجان" . بويع بالخلافة بعد موت أبيه الناصر في ٣ رمضان ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وكان عمره آنذاك سبعة وأربعين عامًا ، وقيل ثمانية وأربعين عامًا وشهرين ويومين ، حيث أن مولده جاء بقرطبة فى ٢٤ من جمادى الأولى ، وقيل فى غرة رجب سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٥م، لقب بالمستنصر بالله ، وقد عرف عنه أنه أبيض مشرب بحمرة ، أعين ، أقنى ، جهير الصوت ، قصير الساقين ، ضخم الجسم عادلاً مشغوفاً بالعلوم حريصًا على اقتناءها راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، حتى كون ما عرف بالمكتبة الأموية . وهذا وقد شهدت بلاد الأندلس فى عهده حالة

أقصى اتساع بفضل حركة الجهاد المستمر التي ردت النصارى الأسبان إلى عقر دارهم إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. كما تم القضاء على الفتن والثورات الداخلية مثل ثورة المولدين(١) والعرب(٢)، وقد أدى هذا إلى أن يسود أرض الأندلس حالة من السلم والاستقرار والرخاء لم تشهد لها نظيراً من قبل- باستثناء عهد الفتح

من الاستقرار والرخاء، أصيب آخر أيامه بشلل أقعده عن الحركة، وتولى تدبير شئون بلاده وزيره جعفر بن عثمان المصحفى حتى توفى ٣ صفر ٣٦٦هـ/ ٣٠ سبتمبر ٩٧٦م، فكانت دولته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام. عنه أنظر:

ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و إ. ليفى بروفنسال (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م)، ط٣، ص ٢٣٣-٢٣٥؛ الذهبي: دولة الإسلام (بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٩٨٥م)، ص ١٩٤؛ ابن الخطيب: إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق، إ. ليفي بروفنسال (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، ط٢، ص ٤١؛ الصفدى: الوافي بالوفيات (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م) ج ٩، ط١، ص ١٤٨- ١٤٩؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية فى العصر الإسلامي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د. ت)، ص ١٠ وما يليها.

(١) المولدين: يقصد بهم الجيل الذي ولد من آباء مسلمين سواء كانوا عربًا أو بربر، وأمهات أعجميات سواء كن أسبانيات أو غير ذلك، ونشأ على الإسلام، فقد أقبل الفاتحون من العرب والبربر على مصاهرة أهل البلاد، فتزوج الكثيرون منهم من الأسبانيات وعاشروا أهل البلاد واختلطوا بهم، وعن طريق ذلك نشروا الإسلام ولغته في الأندلس، وامتزجت دماء الفاتحين من عرب وبربر بدماء أهل البلاد الأصليين، ونشأ من ذلك جيل المولدين. أنظر: حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٥- ١٠٣٠م) (القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٤م)، ط١، ص ٤١.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ١٥٨؛ ابن الخطيب: إعمال، ص ٤١؛ خزعل ياسين مصطفى: بنو أمية في الأندلس ودورهم فى الحياة العامة(١٣٨هـ/ ٤٢٢م/ ٧٥٥-١٠٣٠م) رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الموصل – العراق ٢٠٠٤ م، ص ١٤٤؛ محمد سعيد محمد: الشعر في قرطبة من منتصف القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الخامس (أبو ظبي: ٢٠٠٣م)، ص ٤٢؛ يحيى أبو المعاطى محمد عباس: الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (٢٣٨- ٤٨٨م / ٨٥٢- ١٠٩٥م)، رسالة دكتوراه غير منشورة - قسم التاريخ – كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٩٤.

الأول- انعكس أثره على كافة النواحي الحضارية وانتشرت بذلك حركة العلوم والآداب[(١)].

وجمع البلاط الأموي بالأندلس بين أرجائه جمهرة من أعاظم رجال العصر وألمعهم[(٢)] كان في مقدمتهم الوزير الحاجب[(٣)] جعفر بن عثمان بن نصر المعروف بالمصحفى، وهو ينتمي

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأول - القسم الثاني (القاهرة: مكتبة الخانجى، د.ت)، ص ٤٨٢ - ٥٠٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة) (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٦٢م)، ص ٢٩٢؛ جودة هلال، محمد محمود صبح: قرطبة فى التاريخ الإسلامي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م)، ص ٢٩؛ أحمد فكرى: قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م)، ص ٧٧.

(٢) من هؤلاء الرجال: غالب بن عبد الرحمن الناصرى صاحب مدنية سالم وأعظم فرسان الأندلس، والوزير يحيى بن محمد التجيبى، والقائد سعيد بن الحكم الجعفري، والكاتب عيسى بن فطيس، والقاضي منذر بن سعيد البلوطي كبير القضاة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأبو بكر محمد بن السليم. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ١٥٦، ٢٢٣؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٥١٢؛ خزعل ياسين: مرجع سابق ص ١٥٠.

(٣) كان للحاجب في بلاد الأندلس من المكانة ما جعلته يأخذ لقب رئيس الوزراء، حيث نال الحاجب خاصة عصر الخلافة الأموية اهتمامًا عظيمًا يتناسب مع الدور المنوط به من مساعدة الخليفة فى أمور الخلافة، حيث كان يتولى شئون القصر الخلافي، والديوان والإدارة المالية، كما كان يشارك فى اختيار الوزراء والمشورة وإبداء الرأي، وأثناء اختياره كان يتقدم قواد الجيش لتهنئته فى حفل مهيب، وأثناء تلك الرسوم يقف الحاجب مرتديًا حلة الحجابة، والتي ينفرد بها من بين الحضور، وتبدأ رسوم تتويج الحاجب بدخوله من باب الخلفاء وكبار موظفي الدولة، وذلك لقراءة مرسوم التولية أمام الوزراء ورجال الدولة، وبعدها يقسم الحاجب للخليفة على الطاعة والولاء، ثم يسمح له بالإقامة بالقصر لمدة ثلاثة أيام يجتمع فيها مع الخليفة، وبعدها يتسلم مهامه الموكل بها، وهذا عكس ما كان عليه الحاجب فى المشرق الإسلامي، إذ لا يتعدى كونه واقفًا على باب الخليفة ينظم الدخول والخروج على الخليفة. أنظر: عطية إسماعيل عطية: رسوم الخلافة الأموية بالأندلس ٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٩-١٠٣٢م، رسالة ماجستير غير منشورة - قسم التاريخ- كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا ٢٠٠١م، ص ٧٢، ٧٤؛ محمد سعيد الدغلى: الحياة الاجتماعية فى الأندلس وأثرها فى الأدب العربي وفى الأدب الأندلسي (الإمارات- دبي: ١٩٨٤م)، ط١، ص ٦٠.

إلى بطن من بطون البربر من بلنسية[١] عمل أباه عثمان[٢] مؤدبًا للحكم المستنصر ولد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد ظل بهذه الوظيفة حتى وافته المنية سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، وعلى هذا الأساس نشأت بين الحكم المستنصر وبين ولد أستاذه ومؤدبه جعفر المصحفى مودة عميقة، اتضحت معالمها عندما أسندت ولاية العهد إلى الحكم، فقدم جعفر في كثير من الأعمال واستخدمه في الكتابة، بعد ما رأى بعينه ما لديه من المواهب[٣]، فقد كان جعفر أديبًا وشاعرًا حسن الخط، وقد دفع هذا الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى أن يوليه على كورة إلبيرة[٤] والمرية، ثم عزله عن المرية- التي تولاها القائد محمد بن رماحس - وأقره على البيرة فقط، ثم ما لبث أن عزله عنها أيضًا سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، وولاه قائدًا

(١) بلنسية: السين مهملة مكسورة، وياء خفيفة: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب. أنظر: الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ليدن- بريل: ١٨٦٣م)، ص ١٧٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٧م)، ج١، ص ٤٩٠، ٤٩١؛ أبو طالب الدمشقي: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر (ليبزج: ١٩٢٣م)، ص ٢٤٥.

(٢) ذكر أن عثمان هو: عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي. ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، الجزء الأول، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م)، ط٢، ص ٢٥٧.

وقد ورد عند ابن عذارى: بأنه عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٤.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس (القاهرة: ١٩٦٦م)، مج١، ص ٣٠٥؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في التاريخ الأندلسي "دولة بني برزال في قرمونة" (٤٠٤ – ٤٥٩هـ/١٠١٣- ١٠٦٧م) (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م)، ص ١٣٠ هامش ٦.

(٤) إلبيرة: تتصل بأحواز كورة قبرة، وتقع إلى الجنوب الشرقي من قرطبة، وتبعد عنها مسافة تسعون ميلاً. أنظر: ابن غالب: نص أندلسي جديد (قطعة لـ كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس)، تحقيق: لطفي عبد البديع (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٦م)، ١٤-١٥.

على الجزائر الشرقية سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[١]، بعدها أسند إليه ولاية جزيرة ميورقة[٢] عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٦م؛ حتى يصلح ما فسد من حالها[٣].

وعندما ولى الحكم المستنصر بالله الأمور بالأندلس ـ خلفًا لأبيه عبد الرحمن الناصر الذي أصابته عله مات على إثرها ـ استوزره وأمضاه على كتابة الخاصة، وضم إليه بعد ذلك ولاية الشرطة[٤]، ثم أوكل إليه أخر الأمر منصب الحجابة أي رئاسة الوزراء، بدلاً للحاجب جعفر بن عبد الرحمن الصقلبى، وأصبح أول رجل فى الدولة واجتمعت لديه سائر السلطات. ولما رزق الخليفة الحكم بولده هشام المؤيد بالله[٥] أختار جعفر كافلاً

(١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص ٣٠٥؛ حمدي عبد المنعم: دراسات، ١٣٠ هامش ٦.

(٢) ميورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وقاف: جزيرة فى شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة بالنون، وكانت قاعدة ملك مجاهد العامري. عنها أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٣) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن على الحجى (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥م) ص.٣٠ هامش ١؛ ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٧، ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢١٥؛ رينهرت دوزى: المسلمون في الأندلس أسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ج٢، ص٩٥؛ خزعل ياسين: مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٤) عنها أنظر: محمود عرفة محمود: "خطة الشرطة بالأندلس فى عهد الخليفة الحكم المستنصر"، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري- قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة القاهرة، العدد الحادي عشر١٩٩٣م، ص ١١ـ٥٨.

(٥) هشام المؤيد بالله: هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو الوليد، ولقبه المؤيد بالله، أمه: صبح البشكنشية أم ولد، وكان سيدها الحكم يسميها بجعفر، وكانت مغنية، حظية عنده، وتوفيت فى خلافة أبنها هشام، وقد بويع لهشام بولاية العهد يوم الاثنين سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، عرف عنه أنه كان أبيض أشهل، أعين، خفيف العارضين، حسن الجسم، قصير الساقين، مائل إلى العبادة، مقبل على تلاوة القرآن الكريم ودرس العلوم، كثير الصدقات على أهل الستر من الضعفاء والمساكين. عنه أنظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٧؛ الضبي: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، ص ١٢ـ ٣٣؛ المراكشي: المعجب في أخبار المغرب، تحقيق: محمد السعيد العريان (القاهرة: ١٩٦٣م)، ص ١١ـ ٣٨؛ ابن عذارى: البيان، ج٢،

له، واستمر جعفر هو القـــائم بدولة الخـليفة حتـى وفاته[1]. وفى هذا يقول ابن عذارى: "كان جعفر بن عثمان المصحفى لطيف المنزلة من الحكم المستنصر بالله، قديم الصحبة، قريب الخاصة، وكان أول سبب ذلك تأديب والده عثمان بن نصر للحكم فى صباه، واستخدمه في أيام والده الناصر، واستكتبه ورقاه إلى خطة الشرطة الوسطى، والنظر فى عدة الأعمال والكور، فلما أفضت الخلافة إلى الحكم قلده بعد ثلاثة أيام من خلافته خطة الوزارة، وأمضاه على كتابة الخاصة، ثم جمع له الكتـابة العليا بالخاصة، وولى ابنيه الأعمال الكبار"[2].

وكان من أشهر أعمال الوزير جعفر المصحفى في بداية عهد الخليفة الحكم أن قدم إليه هدية أعتبرها المؤرخون المحدثون أشهر الحوادث الاجتماعية فى ذاك العصر[3]. وهى مائة مملوك ناشئة على خيول صافنة كاملوا العدة والسلاح، وثلاثمائة وعشرون درعًا مختلفة الأجناس وثلاثمائة خوذة، ومائة بيضة هندية، وخمسون خوذة حبشية من حبشيات الأفرنجة، وثلثمائة حربة إفرنجية، ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن مذهبة، وخمسة وعشرون قرنًا مذهبة من قرون الجاموس[4].

ص٣٥٣ـ٣٥٤؛ ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص ٣١٨؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول، حققه، إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م)، ص ١٥٦ـ ١٦٠؛ محمد عبد الوهاب خلاف: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس (القاهرة: ٢٠٠٤م)، ص ١٠ـ ١١.

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٧؛ المقري: نفح الطيب، مج١ص ٣٨٢؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٥؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥١١.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٤.

(٣) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥١٢.

(٤) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩٩م)، مج٧، ص ٣١٢ـ ٣١٣.

ولعل هذا يبين أن الوزير جعفر المصحفى قد بلغ مبلغًا عظيمًا في البلاط الأموي بالأندلس، وحسبنا دليل على ذلك، وهو أن الوزير جعفر المصحفى كان قد مرض مرضًا شديدا عام ٣٦١هـ/٩٥٦م قارب منه على الموت، فأرسل كتابًا إلى الخليفة الحكم يوصيه بأن يخلفه في أهله، وينالهم برعايته في حالة وفاته، فما كان من الحكم إلا أن أجابه بالقبول والرضا والدعاء له بإتمام العافية، وقد جاء هذا في خطاب ما نصه: "قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك ووقع بأسك وارتفاع رجائك فعظم علينا ذلك وكثر غمنا به، وأشفقنا منه، ونرجو أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لابد من كونه قريبًا أو بعيدًا أو تخطانا، فكل ما سألت ورغبت من نفسك وأهلك، ومن تتخلف فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته[١]. ويضيف: "فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا، ولما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك"[٢].

وعلى أية حال، فإن الوضع الذي ناله الوزير جعفر المصحفى في البلاط الأموي جعله يستعمل أقاربه في إدارة دفة الأمور، ويضع المناصب المهمة فى يد أبنائه وأخوته، فكثرت بهذا ثروته ونفوذه[٣]، سواء أكان ذاك بطريق شرعي عرف مصدره أو بشكل أخر كابتزاز أموال العامة. هؤلاء الذين ضجوا منه ومن سياسته وسيطرة أقاربه، ويبدو أن الأمر لم يقتصر على العامة وحدهم، بل شمل الأشراف أيضًا، إذ كانوا يكنون له الكراهية؛ نظرًا لغطرسته واستعلائه عليهم؛ وعلى أثر ذلك لم يوفق الوزير جعفر فى جمع صحبة حوله[٤].

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ٦٩ ـ ٧٠؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية ٦٤ –٨٩٧هـ/ ٦٨٣ ـ ١٤٩٢م دراسة ونصوص (بيروت: ١٩٨٦م)، ط٢، ص ٢٠٩.

(٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص ٦٩ – ٧٠؛ محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص ٢٠٩؛ أنظر ملحق رقم (١).

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٥؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٩٥.

(٤) رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٥.

ورب أن هذه الأفعال لم تكن لترضى الخليفة الحكم إذا علم عنها شيئًا، لكن من الواضح أن الوزير الحاجب جعفر المصحفى بلغ من المكانة ما جعلت الخليفة الحكم لا ينظر إلى أعماله في رعيته، حيث كان الحاجب جعفر بالنسبة للخليفة أذنه وعينه اللتين يسمع ويبصر بهما، وهذا ما يؤكده المقري بقوله: "تجرد الحاجب المصحفى للعليا، وتمرد في طلب الدنيا، حتى بلغ المنى، وتسوغ ذلك الجني، ووصل إلى المنتهى، وحصل على ما اشتهى، دون مجد تفرع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مغداه وروحته، فسما دون سابقة، ورمى إلى رتبة لم تكن لنفسه مطابقة، فبلغ بنفسه، ونزع عن جنسه، ولم يزل يستقل ويضطلع وينتقل من مطلع إلى مطلع، حتى إلتاح في أفق الخلافة، وأرتاح إليها بعطفه، وأستوزره المستنصر، وعنه كان يسمع وبه يبصر، وحجب الإمام، وأسكب برأيه ذلك الغمام، فأدرك ذلك ما أدرك ونصب لأمانيه والشرك فاقتنى اقتناء مدجر، وأزرى بمن سواه وسخر"[1].

ومهما يكن من أمر، فإن مكانة الوزير جعفر المصحفى لدى البلاط الأموي استمرت فى ازدياد حتى أننا نجد الخليفة الحكم عندما أحس بدنو أجله، فإنه أوكل إليه القيام بأعمال الدولة[2]، وأنصرف هو إلى أعمال الخير. حيث أعتق رقاب مائة من عبيده وتنازل عن سدس الجباية الخليفية فى الأقاليم الإسبانية التابعة للدولة الأموية، وأمر أن يوقف ما جبي له من حوانيت سروجية قرطبة على تعليم الأطفال الفقراء[3].

وكان من أعمال الوزير جعفر المصحفى في بلاط الخليفة الحكم حضوره مجالس الخليفة للمشاورة، وقيامه باستقبال الوفود والسفارات القادمة على الخليفة[4]، وإذا أمر الخليفة بمنح هدايا أو عطايا أو خلع كان الوزير جعفر المصحفى يشرف على ذلك،

(١) المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٣، ٢٥٥ ـ٢٥٦.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٩؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٧٩؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية، ص ٢١٠ ـ ٢١٣.

(٤) ابن حيان: مصدر سابق، ص ٢١ ـ ٢٢.

باعتبارها من الأعمال التي أسندت إليه، ومثال ذلك ـ وكما يذكر المقري ـ: " إنه عندما قدم الملك أردون بن أذفونش حاكم طوائف الجلالقة بشمال الأندلس إلى الخليفة الحكم أخر صفر سنة ٣٥١هـ/ ٩١٢م معلنًا الطاعة للخليفة، وطالبًا نصرته على ابن عمه الملك شانجة بن رذمير، فإن الخليفة بعد أن لبى له طلبه، أمر بضيافته في المجلس الغربي من قصره، وهنا أقبل إليه الحاجب الوزير جعفر، وعندما بصر به الملك أردون قام عليه وخنع له، وأومأ إلى تقبيل يده، فقبضها الحاجب عنه، وانحنى فعانقه وجلس معه، فغبطه، ووعده من إنجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره، ثم أمر الحاجب جعفر فصب عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة، وكانت ذراع منسوجة بالذهب، وبرنسًا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت، وهنا خر الملك أردون ساجدًا، وأعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب جعفر أصحابه رجلاً رجلاً فخلع عليهم على قدر استحقاقهم، وخر جميعهم خانعين شاكرين ثم انطلق الملك أردون وأصحابه(١) " .

ومن أعمال الوزير جعفر المصحفى أيضًا فترة حجابته على عهد الخليفة الحكم أنه قام عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م بإرساله للحسن بن قنون(٢) حاكم طنجة وأزيلة والأمراء الأدارسة

---

(١) المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

(٢) كان الحسن بن قنون أو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس أخر أمير إدريسى في المغرب الأقصى (ت: ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، ولما دخل جوهر الصقلي قائد الفاطميين إلى بلاد المغرب في أواخر ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م أعلن الحسن بن قنون تحوله إلى طاعة الفاطميين ناكثًا بذلك عهده للخليفة عبد الرحمن الناصر، وعندما أنصرف جوهر إلى إفريقية ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م عاد الحسن إلى طاعة بني أمية في الأندلس، وبعد وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م أكد الحسن طاعته لولده الخليفة المستنصر، ولعل تصرف الأدارسة هذا مصدره الخوف من بطش بني أمية، غير أن الخليفة الحكم كان يعتقد أن الخطر الفاطمي مازال موجودًا، وكان يرى ضرورة الاحتفاظ بسيطرة الأندلس على بلاد المغرب الأقصى والأوسط ، خاصة بعد سيطرة القائد الصنهاجى يوسف بن زيرى بن مناد المسمى بلكين (٣٦ـ ٣٧٣هـ/ ٩٧٢ـ ٩٨٤م) على المغرب وهزيمته لأنصار الخلافة الأموية على أرض المغرب سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م وتحول الحسن بن قنون نحو بلكين بن زيري وقطع الدعوة للأمويين بالأندلس، واستيلائه على طنجة وتطوان وأصيلة، وجعل مقر قيادته فى قلعة حجر النسر، ولهذا بادر الخليفة الحكم المستنصر عام ٣٦١هـ/ ٩٧١م بإرسال قائده محمد بن القاسم بن طلمس، وعبد الرحمن بن رماحس قائد البحر، ثم غالب الناصري فى ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م لمحاربته وإخضاعه،

الذين أبقاهم الخليفة الحكم المستنصر بالأندلس[1] - على إثر قدومهم من عدوة المغرب بعـدما تمكن منهم غالب الناصري[2] قائد الخليفة لمنع تمردهم وثورتهم ضد الوجود

فقاموا جميعًا بمحاصرته في قلعة حجر النسر، وبعد حصار طويل استسلم الحسن بن قنون وطلب الصلح، ومن ثم فقد عاد به القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري فى أواخر ذي الحجة سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٥م وأقربائه الأدارسة إلى الأندلس – ليأمن شره ويبعده عن القيام بأي ثورة ضد الخلافة الأموية بعدوة المغرب – تاركًا إدارة شئون العدوة إلى القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي. عن ذلك أنظر: ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (فاس: ١٨٨٥م)، ص ٦٠؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ٢٤٣-٢٤٦؛ مؤلف مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب: "مفاخر البربر" نشره: إ. ليفي بروفنسال (الرباط: ١٩٣٤م)، ص ٨؛ عبد العزيز فيلالى: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ط٢، ص ١٩٨- ١٩٩.

Cf: Govlin (L.): "le Maghreb central alepoque des Zinides," recherchés d'archeologie et d'Histoire" (Paris, 1937). P. 34; Julien (Ch.A : "Histoire de L'Afrique Nord" depuis la conquete arabe jusqua (paris , 1952)T.2 p. 88.

(١) لقد ظل الحسن بن قنون وذووه فى قرطبة حوالي عامين من ٣٦٤- ٣٦٦هـ/ ٩٧٤- ٩٧٩م) ثم ساءت علاقتهم بالخليفة الحكم الذي استثقل نفقاتهم وتوجس من شرهم، وذلك لسوء خلق الحسن، كما أن الخليفة لم ينس ما فعله الحسن بقواته فترة الحرب بينهما فرأى أن يتخلص منه ومن نفقاته الباهظة، فأمر فى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م بإخراجه هو وعشيرته من قرطبة وإجلائهم إلى المشرق، فركبوا البحر من المرية إلى تونس إلى مصر، فنزلوا فى ضيافة الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وظل بها إلى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، ثم عاد إلى المغرب أيام الخليفة هشام المؤيد بالله. السلاوى: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (القاهرة: د.ت.)، ج١، ص ٨٨- ٨٩؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس فى عصر الخلافة الأموية (٣٠٠ – ٣٩٩هـ/ ٩١٢- ١٠٠٨م) (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م)، ص ١٠٠-١٠٦؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٤٩٩.

(٢) غالب الناصري: هو غالب بن عبد الرحمن الناصري أحد أمراء البحر ومولى الخليفة الناصر، أضحى أيام الحكم المستنصر من أكابر رجال الدولة الأموية بالأندلس، ثم صار حاكم الثغر الأعلى الأندلسي، ومقره مدينة سالم. عنه أنظر: ابن حيان: المقتبس، ص ٢٤ هامش ٣؛ صلاح أحمد عيد: موالى بن أمية في الأندلس وأثرهم فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الفترة من بداية عصر الإمارة حتى نهاية عهد الحكم المستنصر ١٣٨ – ٣٦٦هـ/ ٧٥٦- ٩٧٦ م، رسالة ماجستير غير منشورة - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا ١٩٩١م، ص ٢١٧ -٢١٨ هامش ٦.

الأموي هناك مرة ثانية[١] - إلى تونس ومنها إلى الإسكندرية[٢]، بعد أن أخذ عليهم المواثيق الغلاظ ألا يدخلوا المغرب، ثم بعث فى استدعاء الوزير يحيى بن محمد التجيبى[٣] نائبه على الممتلكات الإفريقية منذ رحيل القائد غالب الناصري[٤]، ليسد به الثغور الأندلسية الشمالية، وعهد بإدارة هذه الأقاليم إلى أميرين من أهل عدوة المغرب هما جعفر ويحيى أبنا على بن حمدون[٥]، لخبرتهما بشئون المغرب من جهة، ولشدة عداوتهما لبنى زيرى الصنهاجيين من جهة أخرى، وخلع عليهما خلعًا فاخرة، ودفع لهما أموالاً وكسي كثيرة، لتقديمها إلى زعماء القبائل المغربية هناك، وأنفذهما إلى المغرب فوصلا

(١) لمزيد من التفاصيل عن دور القائد غالب الناصري في عدوة المغرب، وحربه ضد الحسن بن قنون. أنظر: ابن حيان: المصدر السابق، ص ٣٣، ١٠٨، وما يليها؛ ابن أبى زرع: مصدر سابق، ص ٦١؛ مؤلف مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر، ص٩؛ ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٤٣- ٢٤٦؛ محمد ماهر حمادة: مرجع سابق، ص ١٩٢- ٢٠٦؛ عبد العزيز فيلالى: مرجع سابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٧.

(٢) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩؛ سامية مصطفى: مرجع سابق، ص ١٠٦؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٤٩٩.

(٣) كان القائد يحيى بن محمد التجيبى أحد قادة الخليفة الحكم المستنصر الكبار الذين أعتمد عليهم إلى جانب فارس الأندلس غالب الناصرى فى محاربة الحسن بن قنون فى المغرب. أنظر: محمد ماهر حمادة: الوثائق، ص ١٩٣.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص ١٠- ١٥١؛ مؤلف مجهول: نبذة، ص ١٣؛ عبد العزيز فيلالى: مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٥) جعفر ويحيى أبنا على بن حمدون: ذكر أنهما من أصل أندلسي، وهما أبنا على بن حمدون بن سملك بن سعيد بن إبراهيم، وكان منزلهما بالأندلس بكورة البيرة على مقربة من قلعة يحصب، وكان جدهما حمدون قد أنتقل إلى إفريقية وتزوج من كتامة، ثم سافر إلى الحج، وتعرف هناك بأبي عبد الله الشيعي، ودخل فى مذهبه، ولما ظهر الشيعي بإفريقية واستولى على ملك بني الأغلب، حظي لديه وأبناؤه برعاية الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، واستقروا مدى حكامًا للمسيلة، ثم اتهمهم زعيمهم جعفر بالاتصال ببني خزر، وتوعده الخليفة المعز بشر النكال، ففر إلى بني خزر أمراء زناتة، بعدها تحولا جعفر وأخيه عن المذهب الشيعي، وحاربا الحسن بن قنون بجانب قوات الخليفة الحكم بالمغرب، وعندما تمكنا من الحسن بن قنون، استقبلهم الخليفة الحكم استقبالاً كبيرًا، ورتب لهما نفقة شهرية قدرها ألف دينار بعدها أقرهما على أهل المغرب. أنظر: ابن حيان: المقتبس، ص ٣٣ هامش ٢؛ الصفدى: مضدر سابق، ج٧، ص ٣٩٧.

قلعة حجر النسر فى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م، حيث سلم لهما القائد يحيى مقاليد الأمور، وقفل عائدًا إلى الأندلس، وما لبث أن اتجه إلى مدينة سرقسطة[١]، قاعدة الثغر الأعلى لمحاربة نصارى الشمال[٢].

ويبدو أن الذي دفع الوزير جعفر المصحفى إلى القيام بهذا العمل هو توفير النفقات من جراء إقامة الأمراء الأدارسة على أرض الأندلس من ناحية، والعمل على توحيد الصفوف لمواجهة خطر نصارى الشمال من ناحية أخرى، خاصة بعدما ترامى إلى سمعهم مرض الخليفة وغياب أحسن جنده عن الأندلس، وقد أدى بهم هذا إلى الهجوم على أرض المسلمين فى ربيع سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٥م. ومحاصرة الكثير من قلاعهم[٣]. ولهذا فإن الوزير جعفر المصحفى أيقن أنه ينبغي عليه في مثل هذه الظروف أن يعنى قبل كل شيء بالدفاع عن البلد، فما كاد القائد يحيى بن محمد يعود حتى ولاه الوزير جعفر ولاية الثغر الأعلى[٤].

في تلك الآونة كان الحكم المستنصر مشغولاً بأمرين تمثل الأول فى مرضه الذي ألم به، والثاني مسألة ضمان اعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله العرش من بعده ـ وإن كان لا يزال طفلاً ـ حيث أن الحكم كان قبل توليه الخلافة قد تقدم به العمر، ويأس من أن ينجب ولدًا يرثه، وما كادت سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٣م تأتى إلا وقد رزق من جاريته "صبح البشكنشية"[٥] بولد أسماه عبد الرحمن، وبعد ثلاثة أعوام أنجب أبنا أخر هو هشام

---

(١) سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة، وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، بلدة مشهورة بالأندلس، تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكهه عذبة لها فضل سائر على فواكهه الأندلس، مبنية على نهر كبير. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٢١٢ـ٢١٤.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٩؛ مؤلف مجهول: نبذة، ص ١٤؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٨٥؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩.

(٣) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩.

(٤) رينهرت دوزى: نفس المرجع السابق، ج٢، ص ٨٠.

(٥) السيدة صبح البشكنشية: حظية الخليفة الحكم وأم ولده، وصبح أو صبيحة هي ترجمة لكلمة Aurora الإفرنجية، ومعناها الفجر أو الصباح الباكر، وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح، وكانت صبح

المؤيد(١) إلا أن عبد الرحمن وافته المنية طفلاً، ولم يبق إلا هشام الذي أراد له الخليفة الحكم أن يخلفه من بعده، ذلك أن الحكم كان قد أنتابه الخوف من أن تقوم الرعية فتسوق العرش إلى أحد أخوته دون ولده إيثاراً له على طفل حدث، أضف إلى ذلك كراهية العرب لفكرة الوصاية وإيمان الحكم بنبوءة قديمة كانت تقول: " إن أسرة بني أمية ستزول من الحكم إذا خرج العرش عن البيت، أي توارثه الأخوة ونقلوه بينهم "(٢)، وهذا ما أشار إليه ابن بسـام بقوله: " لا يزال ملك بني أمية بالأندلس فى إقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء، فإذا أنتقل إلى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وأنصرف، فلعل الحكم بهذا الخبر توهم، فجاز به عن إخوته وإن كان ذوو اللب والنظر "(٣).

عندئذ فلم ير الخليفة من وسيلة لضمان ولاية العهد لولده إلا أن يسارع بأخذ البيعة له ما وسعه الإسراع، ومن ثم استدعى كبار رجال دولته سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م وأفضى إليهم بالأمر، وأخذت البيعة لهشام المؤيد، وأرسل بهذا الخبر إلى جميع ولايات الأندلس وإفريقية، ودعي الأشراف والعامة للتوقيع على هذا العقد(٤).

جارية بشكنشية أو نافارية لا يعرف الكثير عن نشأتها وحياتها الأولى، وقد ظهرت فى بلاط قرطبة أوائل عهد الحكم، وكانت فتاة رائعة الحسن والدلال، فشغف بها الحكم، واسماها جعفر، وقد تمتعت بمكانة كبيرة في البلاط الأموي، بعدما أنجبت للحكم ولديه عبد الرحمن ثم هشام المؤيد، حتى أنه كان لديها رأى فى تعيين الوزراء ورجال البطانة. أطلق عليها السيدة صبح أم المؤيد مرة والسلطانة صبح مرة أخرى، وقد عمل الحاجب الوزير جعفر بن عثمان المصحفى على أن يبذل كافة جهده لإرضائها.

ابن عذارى: البيان، ج٢، ٣٢٧؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول- القسم الثاني، ص ٥٢٠- ٥٢١.

(١) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٨٠.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٧- ٢٥٨.

وقد ورد أن الخليفة الحكم آثر ولده هشام على ثلاثة من إخوته كانوا من الشدة والقوة وهم: عبد العزيز والأصبغ والمغيرة. أنظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٤.

(٣) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: القسم الرابع، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩م)، ط١، ص٥٧.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٩، ٢٥٨؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٨٠.

وهنا يشير أحد المؤرخين بأن البيعة تمت بسعي من صبح البشكنشية أم هشام، حيث كانت تخشى أن يصير العرش بعد الحكم إلى أحد أخوته، لصغر سن أبنها، ولذا فقد اتصلت سراً بنفر من كبار رجال الدولة مثل جعفر المصحفى، ومحمد بن عامر[1] صاحب السكة والمواريث (أي المشرف على دار سك العملة والأوقاف)؛ لكي تضمن تأييدهما لها إذا مات الخليفة الحكم[2] ولا ريب فقد توفى الحكم المستنصر فى ٢ صفر ٣٦٦هـ/ أول أكتوبر ٩٧٦م، وأصبح هشام المؤيد بالله خليفة المسلمين بالأندلس (٣٦٦ـ

(١) محمد بن أبى عامر: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى عامر المعافرى، يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية اليمنية، وكان جده عبد الملك بن عامر المعافرى أول من دخل الأندلس مع الفاتحين موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وقد نزلت أسرة بني عامر بالجزيرة الخضراء، وأقطعت حصن طرش الواقع على وادي نهر يارة، ونبغ أبنائها في القضاء والإدارة. ولد محمد بن أبى عامر بحصن طرش وكان أبوه عبد الله المكنى بأبي حفص من أهل العلم والتقوى عالمًا بالحديث والشريعة، أما أمه فهي "بريهة" بنت القاضي يحيى بن برطل، وهى تنتمي إلى بني تميم. برع محمد بن أبى عامر في العلم والأدب والشريعة، حيث تعلم بقرطبة على يد اللغوي أبو على القالي البغدادي، وأبو بكر بن القوطية، والمحدث أبو بكر بن معاوية القرشي، وقد بدأ محمد بن أبى عامر حياته كاتبًا للرقاع بجوار باب قصر الخليفة الحكم، ثم شغل بعد ذلك وظيفة فى قضاء قرطبة، بعدها أنتقل ليعمل وكيلاً لإدارة أملاك عبد الرحمن بن الحكم، ثم هشام من بعده، بوصاية الوزير جعفر المصحفى، وكان محمد بن أبى عامر آنذاك يعرف بذكائه وظرف شمائله، فعين بمرتب قدره خمسة عشرة دينارًا في الشهر أوائل سنة ٣٦٥هـ/ ٩٦٧ م، ولمهارته عينه الخليفة الحكم فى الخزانة العامة، وأمانة دار السكة، وخطة المواريث سنة ٣٥٨هـ، فقاضيًا لكورة أشبيلية ولبلة، فمديراً للشرطة الوسطى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، ثم ناظرًا على الحشم (الخاص)، وقد لقب لصغر سنه بفتى الدولة، وفى عهد الخليفة هشام المؤيد عين وزيرًا وحاجبًا، وسيطر على دفة الأمور، حتى أصبحت الدولة وكأنها دولته (٣٦٨ – ٣٩٩هـ/ ٩٧٨ـ ١٠٠٩م).

أنظر: ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٥٦ وما يليها؛ ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص١٤٨؛ المراكشي: المعجب، ص ٧٢؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٧ – ٢٥٩؛ ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص ٣١٨ ـ ٣٢١؛ المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٩٩؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٤، ٨١؛ محمود على مكي: "المنصور بن أبى عامر المستبد المنتصر"، بحث منشور فى مجلة العربي، العدد ٢٢٤ يوليو ١٩٧٧م، ص ١٣٣ـ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة: دار الرشاد، ١٩٩٧م)، ص ٣٨٩.

٣٩٩هـ/ ٩٧٦ـ ١٠٠٩م)[١] بوصاية كل من الوزير جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر، وأمه السيدة صبح البشكنشية[٢].

ـ الوزير جعفر المصحفى حاجبًا للخليفة هشام المؤيد.

مارس الوزير جعفر المصحفى دورًا مؤثرًا فى البلاط الأموي غداة وفاة الخليفة الحكم، حيث حمل على عاتقه مسئولية تدبير شئون الحكم، وتثبيت دعائم العرش الأموي لصالح الخليفة هشام، وقد شاركه فى هذا الدور فتى الدولة محمد بن أبى عامر، والسيدة صبح زوجة الخليفة الحكم[٣] وقد تمثل هذا فى أنه بعد وفاة الخليفة الحكم، حرص خادماه الخصيان فائق المعروف بالنظامي صاحب البرد والطراز، وجؤذر صاحب الصاغة والبيازرة على كتمان خبر موته عن وزيره جعفر المصحفى، وسائر أهل الدولة[٤]، وقاما بضبط القصر واتخاذ التدابير اللازمة لتسيير الأمور وفق خطة قد وضعاها مفادها تنحية ولى العهد هشام عن عرش الخلافة، واختيار عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر بديلاً عنه[٥]. ولعل الذي دفعهما إلى هذا هو خوفهما من اجتماع السلطة بيد الحاجب الوزير جعفر المصحفى ـ الذي يكنان له كل كراهية ـ والسيدة صبح، ومحمد بن أبى عامر، فيتقلص بذلك نفوذهما داخل البلاط وخارجه، خاصة بعد ما لمسا بغض العامة لهما وأفعالهما، لكن إذا هما أقاما المغيرة كوصي على الخليفة هشام الصبي،

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٣م)، ج١١، ط٥، ص ٢٨٥؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٦؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥١٩ ـ ٥٢٠.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٨؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٨٠ ـ ٨١؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٣.

(٣) حسين مؤنس: مرجع سابق، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٤) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات، ص ١٢٠.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٣.

فإنهما يضمنا بقاء نفوذهما وما بأيديهما؛ لأن المغيرة سيحفظ لهما هذا العمل باعتبارهما أكبر فتيان القصر ومدبرا هذه الخطة[1]، وهذا ما أكده البعض بالقول: "لقد خيل إلى . . . فائق وجؤذر أن اختيار خليفة جديد أمر موكول إليهما وحدهما لا يشاركهما فيه أحد، ولقد ترتب على هذا الظن أن انصرف كل منهما عن هشام، لما أدركاه في اعتلاء هذا الطفل العرش من ظهور نفوذ جعفر المصحفى الوزير الذي يكرهانه ويودان لو تقلص نفوذه الشخصي.

أضف إلى ذلك أن الخصيين كانا يعرفان أن العامة لا تميل إلى فكرة الوصاية، وأن هناك ثلة من الناس لا ترغب أن ترى العرش يساق لطفل لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره، ويكون له الحكم الروحي، كما أنهما أرادا أن يتقربا للعامة من خلال عقد الأمانة لأمير بالغ عاقل، يشكر لهما صنيعهما، ومن ثم يستطيعان التصرف فى أمور الدولة باسمه من غير معارضة لهما من جانبه، لهذا قررا صرف الخلافة عن هشام إلى عمه المغيرة ـ البالغ من العمر سبعة وعشرين عامًا ـ وبشرط أن يجعل من هشام وليًا للعهد"[2].

ولتنفيذ ذلك قاما فائق وجؤذر بداية باستدعاء الحاجب جعفر المصحفى، ونبآه بموت الخليفة الحكم، وعرضا عليه مشروعهما فى تولية المغيرة، وهنا تظاهر جعفر المصحفى بالاستحسان والموافقة ووعدهما بالعمل وفق خطتهما، وتنفيذ ما يشيران به؛ ورب ذلك لأن الوزير جعفر المصحفى قد خاف على نفسه من بطشهما إذا رفض ما دبراه، لإدراكه بكثرة أعداد الفتيان الصقالبة داخل القصر، حيث بلغ عددهم زهاء الألف، إضافة إلى ما بأيديهما من الحرس الخليفى، ومعظمه من الصقالبة المرتزقة، فكانوا بهذا قوة يخشى بأسها، وقد ذكر أن جؤذر كان يرى ضرورة قتل الوزير الحاجب جعفر المصحفى حتى

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص٨٧ ـ ٣٨٨؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٣.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٠؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٨٥ـ٨٦.

يتم لهما الأمر، وينصبا المغيرة، غير أن فائق عارض هذا الرأي، لأنه لم يشأ أن يفتتح عهد المغيرة بسفك الدماء[1].

وعلى كل، فعندما أدرك الحاجب جعفر المصحفى نجاح خطته فى خدع الخصيين واطمئنانهما إليه بادر إلى ضبط أبواب القصر، واستدعى أصحابه من خاصة الخليفة الحكم، مثل ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان، ومحمد بن أبى عامر، وزياد بن أفلح مولى الحكم، وقاسم بن محمد (ابن القائد طملس الذي لقي حتفه في إفريقية أثناء محاربة الحسن بن قنون)[2]. هذا إلى جانب عصبته وأشياعه من زعماء البربر وهم بني برزال[3] إذ كانوا بطانته من سائر الجند[4]. وعندما تكامل عقد الجميع أفضى إليهم بنبأ موت الخليفة وبما دبراه الخصيان فائق وجؤذر من تنحية هشام وتولية المغيرة، وأوضح لهم أن

(١) ابن بسام: مصدر سابق، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ج٢، ص ٢٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٣.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٥٨؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٣) بني برزال: ينتسبوا إلى قبيلة زناتة البربرية، وكانوا ينزلون بالمغرب في منطقة الزاب الأسفل حول مدينة المسيلة، وكان بني برزال من الخوارج الأباضية، وقد أعلنوا خضوعهم للفاطميين تحت طاعة على بن حمدون المعروف بالأندلسي صاحب مدينة المسيلة، وصاروا له شيعاً، فلما توفى على بن حمدون خلفه جعفر، ثم ما لبثوا أن أعلنوا خضوعهم للخليفة الحكم سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م، وعندما جاء بني برزال مع جعفر إلى الأندلس كونوا جيشًا وتحولوا لخدمة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٨م)، ص ٤٩٨؛ ابن حيان: المقتبس، ص ٣٥ـ٣٨، ١٩٢، ٤٤ ـ ٥٦؛ ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة: ١٩٥٣ـ ١٩٥٥م)، ج١، ص ١٩٤؛ مؤلف مجهول: نبذة، ص ١٢؛ حمدي عبد المنعم: دراسات، ص ١٧.

Cf. Idris (H.R): "Les Birzalides le Carmona" Al- Andalus,Vol. 30 (1965) p.50.

(٤) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ١٩٥؛ ابن عذارى: البيان، ج١، ص ٢٦٠.

Cf: Arellano (Ramirez de.): Histoira de Cordoba (Cludad, Real ,1915- 1919), p. 268.

حمدي عبد المنعم: دراسات، ص ١٥.

هذا المشروع خطر داهم عليهم، إذا ولى المغيرة والصقالبة. أما إذا ولى هشام العهد الشرعي فإنهم يستبقون سلطانهم ونفوذهم، وتعدو الدولة دولتهم، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم[(١)].

وكان الحل هو قتل المغيرة، الذي تم خنقه بواسطة جند محمد بن أبى عامر، وعندما علما فائق وجؤذر، بما وقع بادرا إلى الوزير الحاجب جعفر المصحفى، وتظاهرا أمامه بالرضا والاستبشار واعتذرا عما بدرا منهما[(٢)]، وفى هذا يقول أحد المؤرخين: "وكادت أن تدور رحى حرب أهلية دامية خطيرة فى مدينة قرطبة . . لولا أن تدارك الموقف بسرعة جعفر المصحفى، وأصحابه الوزراء فأنهوا هذا السباق بتدبير مؤامرة أودت بحياة المغيرة بن عبد الرحمن الناصر قام بتنفيذها شخصية جريئة وطموحة هو محمد بن أبى عامر المعافرى اليمنى"[(٣)].

وهكذا وقع الاتفاق على تولية هشام، حيث أخذت له البيعة فى يوم الاثنين ٣صفر سنة ٣٦٦هـ/ أول أكتوبر ٩٧٦م على يد الوزير الحاجب جعفر المصحفى[(٤)]، الذي باتت الأمور فى يده، وأخذ يعمل من جانبه لتسكين خواطر الناس، بإخراج الخليفة هشام فى موكب كبير يوقظ ما كانت تنطوي عليه صدورهم من الحب خاصة على كاهل الطبقات الدنيا[(٥)]، وليس هذا وحسب، بل عمل الوزير الحاجب جعفر المصحفى على تقليص نفوذ الخصيين فائق وجؤذر، بمنعهما من الخروج من أحد أبواب القصر المعروف بباب

---

(١) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٨؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٠-٢٦٢؛ ابن خلدون: العبر، مج٧، ص ٣١٩؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٦-٣٩٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٤؛ حمدي عبد المنعم: دراسات، ص ١٨.

(٢) عبد العزيز فيلالى: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٥٨ - ٥٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٢؛ المقري: مصدر سابق، مج١، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٩.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٢؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٧؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٥٢٦.

الحديد بعد غلقه، والذي كان مخصصًا لدخولهما، ودخول أصحابهما إلى القصر، وأمر ألا يكون الدخول إلى القصر إلا بواسطة باب السُدة[1]. وبهذه الطريقة يستطيع الحاجب جعفر المصحفى أن يجعل الخصيين تحت ثاقب ناظريه، ويحجب عنهما الاتصال بأصدقائهما من الخصيان الصقالبة في الخارج[2].

وزاد الوزير جعفر المصحفى على ذلك بأن طلب من محمد بن أبى عامر ـ الذي أصبح وزيراً على أثر تولية الخليفة هشام المؤيد ـ أن يبذل قصارى جهده حتى يقصى كل من كان حول فائق وجؤذر من الخدم المسلحين من غير الخصيان والعبيد وإلحاقهم بحاشيته[3]، وبالفعل نجح محمد بن أبى عامر فى حمل خمسمائة منهم على التخلي عن خدمة فائق وجؤذر، والانضمام إليه بواسطة المال، فعظـم بهذا بأسه، وأشتد نفوذه، بعد هذا تم إقصاءهما عن خدمة القصر ومحاكمتهما[4]، حيث أمر فائق وباقي زعماء الصقالبة بالتزام دورهم حتى هلك الكثير منهم، وأبعد جؤذر إلى جزيرة ميورقة فمات هناك[5].

أما ما كان من أعوانهما أمثال: "الفتى الصغير الدري" فقد تم قتله، وعندئذ زادت مكانة الوزير الحاجب جعفر المصحفى، ومحمد بن أبى عامر في أعين العامة؛ وذلك لشدة كراهية أهل قرطبة للصقالبة الذين أسرفوا فى إيذاء الناس بصورة تمنوا لهم فيها

(١) باب السُدة: هو أحد الأبواب فى سور القصر القبلي المشرفة على الوادي. أنظر: السيد عبد العزيز سالم: "معالم قرطبة فى شعر ابن زيدون"، بحث منشور فى مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٨٣، ١٩٨٤م، مج ٢٢، ص ٩٦.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٢؛ ابن خلدون: العبر، مج٧، ص ٣١٩؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥٢٦؛ عبد العزيز فيلالى: مرجع سابق، ص ٢٢٢.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦١.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٢ـ ٢٦٤؛ ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص ٣١٩؛ محمد عبد الله عنان: نفس المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(٥) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٢ـ٢٦٣؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٩٠ـ ٩١؛ محمد عبد الله عنان: نفس المرجع السابق، ص ٥٢٦.

الهلاك[١]، حيث كانوا فى بداية أمرهم زينة للدولة والبلاط، وكان ظهورهم بجموعهم المتألقة وأزيائهم الفخمة يسبغ على القصر، وعلى مواكب الخلافة طابعًا من الأبهة، والعظمة، ولكنهم منذ استأثروا بثقة الخليفة، وبسطوا سلطانهم على القصر والدولة أشتد طغيانهم، وثقلت وطأتهم على أهل الدولة وعلى الشعب قاطبة[٢] وهكذا أنهار سلطان الصقالبة، وآمن الوزير الحاجب جعفر المصحفى ومحمد أبى عامر شرهم، وتقلد جعفر المصحفى أمر القصر والحرم بدلاً عنهما، بالإضافة إلى منصب الحجابة الذي قلده إياه الخليفة هشام المؤيد ـ نظرًا لقدم صحبته لأبيه الحكم ـ وتقديمه لأبن أخيه هشام بن محمد بن عثمان المصحفى إلى خطة الخيل، ثم إلى الوزارة، وولى بنيه ـ محمد وعثمان، وعبد الرحمن ـ وأخاه سعيدًا وابن أخيه محمد الشرطة العليا والوسطى، فلم ينهضوا بعبء ما قلده، وخلى على المدينة ابنه محمدًا المصحفى الذي أساء السيرة[٣].

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦١؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٨٠، ٢٨١؛ محمد عبد الله عنان: نفس المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٩٥؛ ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٤؛ أحمد فكرى: قرطبة، ص ٩٩.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٢.

ـ الوزير جعفر المصحفى بين محمد بن أبى عامر والقائد غالب الناصري.

بعدما أستتب الأمر للوزير الحاجب جعفر المصحفى وفتى الدولة محمد بن أبى عامر في إدارة شئون الدولة الأموية بالأندلس، فقد اتجه الحاجب جعفر إلى توجيه محمد بن أبى عامر على رأس جيش لمحاربة نصارى الشمال (القشتاليين) الذين بلغت بهم الجرأة أن طرقت حملاتهم أبواب مدينة قرطبة[١]، وكان هذا بإيحاء من محمد بن أبى عامر الذي أشار على الوزير الحاجب جعفر المصحفى بضرورة رد النصارى إلى عقر دارهم، خوفًا من انفلات الأمر من يده بعد انزعاج السلطانة صبح أم الخليفة هشام المؤيد، وغضب الأندلسيين من تقدم النصارى، خاصة وأن الوزير جعفر المصحفى لم يكن يعوزه المال ولا الرجال[٢]، وهنا كان لرأى محمد بن أبى عامر موقع الصدارة لدى الوزير الحاجب جعفر المصحفى، حيث عكف على تجهيزه بمائة ألف دينار مع خيرة قوات الدولة من الجند، ونهض محمد بن أبى عامر بحملته فى ٣ رجب سنة٣٦٦هـ/ فبراير ٩٧٧م، وتمكن من حصار قلعة "لوس بانيوس" المعروفة بحصن "الحامة"[٣] فأصاب غنيمة كبيرة وعاد إلى قرطبة في منتصف رمضان ٣٦٦هـ/ إبريل ٩٧٧م ومعه العديد من الأسرى[٤] ويبدو أن النصر الذي حققه محمد بن أبى عامر في هذه الحملة أعلى من شأنه كثيرًا، وقربه من

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٢؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٤؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٧.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٢؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٤؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٩؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩١-٩٢؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٢.

أما عن حصن الحامة: فهو أرض، بجليقية، وهذه الكلمة ترجمة حرفية لكلمة Baleneons، وتعرف اليوم باسم Los Banos. أنظر: رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٢٥٠ هامش ٢٠.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٢؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٤؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٣٩٩.

العامة والخاصة والخليفة هشام وأمه السلطانة صبح(١). وقد انتهز محمد بن أبى عامر هذه الفرصة لينفرد بإدارة شئون الحكم دون الحاجب الوزير جعفر المصحفى، حيث راح يوجه نظر السلطانة صبح إلى عدم صلاحية المصحفى وبيان أخطاءه(٢)، والتي تمثلت في ظلمه للناس واستعماله لأقاربه فى إدارة دفة الأمور، ووضعه المناصب المهمة فى يد أبناءه وأخوته(٣).

أضف إلى ذلك أنه لم يكن بالرجل السياسي، بل كان ينفذ ما يمليه عليه أهل المشورة من رأى(٤). وهذا ما أشار إليه البعض بالقول: "لقد التزم جعفر سياسة تقوم على الاستئثار بالأعمال واحتجاز الأموال، وعارضه محمد بن أبى عامر في تلك السياسة فكان على طرفي نقيض، فقد استبدل بالبخل جوداً وبالاستبداد أثره، وباقتناء الضياع اصطناع الرجال، ثم أن ابن أبى عامر قام بالنظر فى الوكالة، وخدمة السيدة صبح أم هشام، وكان جعفر يثق بأن محمد بن أبى عامر يسكن إليه، فغافله ابن أبى عامر وحظي برضاء الخليفة وأمه، ونال محبة العامة، كل ذلك وجعفر يشركه فى سره وجهره، ويستريح إلى كفايته، وابن أبى عامر يمكر به ويضرب بين حسدته . . . يستضم الرجال، وجعفر يدفعهم"(٥).

ويتضح أن هذا قد أضعف من شوكة الوزير جعفر المصحفى فى البلاط الأموي، وأخذ نجمه يأفل شيئا فشيئاً، خاصة بعد ما ظاهره العداء أبى تمام غالب الناصري صاحب مدينة سالم Medinceli وأعظم قادة الأندلس، الذي كان شديد الحقد على الوزير جعفر المصحفى لما عليه من المكانة والوزارة ، تلك التي رأى أنه أحق بها منه،

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٤؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩.

(٢) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٩٥.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٩٥.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٥٩ـ٦٢؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٣؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٧.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٣ـ٦٤؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥.

ذاك أن الوزير جعفر المصحفى لم يكن من رجال السيف[1] هذا في الوقت الذي كان فيه غالب الناصري تجلل هامته أكاليل الفخر؛ نظراً لكثرة المعارك التي خاضها ضد نصارى الشمال[2].

ومما زاد من حدة العداء بين الوزير جعفر المصحفى وغالب الناصري ما كان يتقول به الوزير جعفر على القائد غالب من تقصيره في الدفاع عن الحدود الشمالية وعجزه عن رد النصارى[3]، وهذا ما أكده ابن بسام بقوله: "وكان بين المصحفى وغالب صاحب مدينة سالم شيخ الموالى وفارس الأندلس غير مدافع أشد ما كان بين أثنين من العداوة والتقاطع فأهم المصحفى شأنه، وناظر الوزراء فى ما بدا من تثاقله فى الذب عن الثغر "[4].

وإزاء هذا فقد فطن الوزير جعفر المصحفى لعداء غالب له، وأيقن أنه لا طاقة له به، لتمكنه من الجند، ولقدرته فى أي لحظة إذا لزم الأمر أن يتحالف مع أهل قشتالة وليون لاقصاءه، وهنا ربما يقع الوزير المصحفى بين فكي كماشة غالب الناصري من ناحية، وأعداءه المتربصين به في البلاط الأموي - والذين لا يحجمون عن اغتنام أي فرصة لخلعه من وظيفته وتجريده من ثروته والفتك به - من ناحية أخرى[5].

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٣ - ٦٤؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥.
أما عن مدينة سالم: هي مدينة تقع بالثغر الأوسط الشرقي المواجه لقشتالة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م، وقد أرسل إليها غالبًا مولاه في جيش جرده معه من الحضرة، وأنفذ العهد إلى قواد الثغر بالاجتماع إليه لبنيانها، فسارعوا إلى أمره، وبنيت أحسن بناء، ونقل إليها البناءون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها، فتم ذلك في صفر سنة ٣٣٥ هـ، وقد أكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام، ومن ثم فقد أوكل حكمها إلى القائد غالب الناصري. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢١٤؛ عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص ٢٠٢، هامش ٣.
(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥.
(٣) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول، القسم الثاني، ص ٥٢٨.
(٤) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص٦٣ - ٦٤.
(٥) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٩٦.

وعندئذ لم يكن أمام الوزير جعفر المصحفي إلا أن يخطب ود غالب الناصري، فأوعز إليه محمد بن أبي عامر بمشورة مفادها، أن يوادع غالب الناصري على الشروط التي ينشدها، ويكون محمد بن أبي عامر الوسيط بين الطرفين، فوافق الوزير جعفر على هذا الرأي، غير أن محمد بن أبي عامر كان له أطماعه هو الآخر، وبدلاً من أن يصلح ما بين الخصمين فقد راح يوسع هوة الخلاف فيما بينهما، ويتقرب هو من غالب الناصري، ويحالفه على أن يسعى له سعيًا مشكوراً لدى الخليفة والسلطانة صبح، لينال من المكانة ما يستحقه[1] وتمكن محمد بن أبي عامر بفضل نفوذه لدى السلطانة صبح من أن يمنح القائد غالب الناصري لقب ذي الوزارتين[2]، وألقيت إليه قيادة جيش الثغور، ولم يعارض الوزير جعفر المصحفي هذه الفكرة، بل سرعان ما بادر إلى تحقيقها تصديقًا منه لقول محمد بن أبي عامر إنها أول خطة في سبيل الوفاق بينهما[3]، لكن واقع الأمر يوضح أن محمد بن أبي عامر كان يوفق الأوضاع لصالحه الشخصي، وليس أدل على ذلك من أنه عندما التقى بغالب الناصري في "مجريط"[4] على طريق وادي الحجارة أثناء قيامه بحملته الثانية ضد نصارى الشمال أول شعبان ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م فقد أعلن امتثاله لأوامره، مما دفع غالب الناصري إلى أن يعقد معه تحالفًا اتفقا فيه على إسقاط الوزير جعفر المصحفي، ولتسهيل تلك المهمة على محمد بن أبي عامر، فقد ساعده غالب على تحقيق نصر كبير ضد نصارى الشمال، يرفع به قدره لدى السلطانة صبح، والخليفة هشام المؤيد

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٤.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٤ ـ٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥، رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٦ ـ ٩٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٤؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٧.

(٤) مجريط: قلعة حصينة أنشأها الأمير محمد بن عبد الرحمن فوق سفح جبال وادي الرملة على مقربة من طليطلة لصد إغارات النصارى، ولبثت تؤدى مهمتها الدفاعية، حتى سقطت فى أيدي النصارى في سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، وعلى موقعها القديم أنشئت مدينة مدريد الحديثة. أنظر: محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥٢٨، هامش ١.

والعامة، في ذات الوقت يقلل من شأن الوزير جعفر المصحفى وأتباعه، حيث عبر غالب الناصري برفقة محمد بن أبى عامر وجيش الحضرة والثغور واستوليا على حصن "مولة"[1] فأصابا كثيراً من السبي والغنيمة وانتهت الحملة، وأخذ كل منهما يستعد لمفارقة صاحبه، وحينذاك قال غالب لصديقه محمد بن أبى عامر: "سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل حتى ليشغل الناس السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة، فإياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه"[2].

وعلى أية حال، فقد كان لما حققه محمد بن أبى عامر من نصر على نصارى الشمال، بفضل معاونة القائد غالب الناصري أثر كبير فى تدعيم نفوذه داخل البلاط الأموي بالأندلس، مما مكنه من استصدار مكتوب من الخليفة هشام - منتهزاً فرصة غياب الوزير جعفر المصحفى عن دار الخلافة - بخلع محمد بن جعفر المصحفى عن أعمال مدينة قرطبة، وتوليته إياها، خاصة وأن هذا المنصب كان قد احتكره الوزير جعفر المصحفى منذ عهد بعيد لابنه محمد، هذا الذي عمت الفوضى فى عهده كافة أنحاء قرطبة، فأساء السيرة وتقاعس عن أداء مهامه، وحفظ الأمن والنظام[3]، وقد ذكر أحد المؤرخين أنه كان شديد الجشع لدرجة أن قليل من الرشوة كان كافيًا لإغماض عينيه عما يرتكب من جرائم، وقد لقي هذا ترحيبًا من أهل قرطبة، خاصة بعدما عانوه من انتشار السرقات، وأصبحوا لا يأمنون على أنفسهم وممتلكاتهم من اللصوص[4]. ويبدو أن هذا كان كفيلاً بأن يطيح بابن الوزير جعفر المصحفى، بعدها تمكن محمد بن أبى عامر من أن يضرب بيد

---

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥-٢٦٦؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٨.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٤؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٥ - ٢٦٦؛ المقري: المصدر السابق، مج٣، ص ٨٩؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٦.

(٣) ابن بسام: نفس المصدر والقسم والمجلد ص ٦٤؛ ابن الأبار: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٦؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ، ص ٣٢٩.

(٤) رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٨، ٩٩.

من حديد على الفساد بقرطبة، حتى استتب الأمن وأمن الناس على نفوسهم، ثم قام باستخلاف ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر على حكم المدينة نيابة عنه، فأتخذ من الحزم والشدة وضبط الأمور ومطاردة أهل البغي والعدوان طريقاً[1].

والسؤال الآن: ما هو موقف الوزير جعفر المصحفى إزاء خلع ولده محمد عن ولاية مدينة قرطبة؟

لا ريب أن ما فعله محمد بن أبى عامر من خلع لابن الوزير جعفر عن أعمال مدينة قرطبة وتوليته هو لها أثار حفيظة الأخير، ولم يساوره شك حينئذ فى رياء محمد بن أبى عامر له[2]، وأنه كان يرتب لصالحه هو دون الوزير جعفر المصحفى، وأيقن أنه لا قبل له به، خاصة بعد أن قوى نفوذه معتمداً على السلطانة صبح التي تكن له كل مودة، وجيش الحضرة الذي تحت يده، وحليفه غالب الناصري والأسر الكبيرة التي ترتبط بالأمويين برباط الولاء، هذا إلى جانب العامة الذي أمنهم محمد بن أبى عامر على حياتهم، وحافظ على حقوقهم[3] لهذا لم يجد الوزير جعفر المصحفى سبيلاً للخروج من هذا المأزق إلا بالتودد إلى القائد غالب الناصري ومصالحته، وبذل العهود له، وفوق هذا خطب ابنته أسماء لابنه عثمان[4]. وفى هذا يقول المقري: "كانت بين المصحفى وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالى وفارس الأندلس عداوة عظيمة، ومباينة شديدة، ومقاطعة مستحكمة، وأعجز المصحفى أمره، وضعف عن مباراته، وشكي ذلك إلى الوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه، وخطب أسماء بنته لابنه عثمان"[5]،

---

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٩؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥٢٨ـ ٥٢٩.

(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٥.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٥؛ رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٩٩.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧.

(٥) المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٨ ـ ٨٩.

والراجح أن هذا العمل من جانب الوزير جعفر المصحفى قد جعل القائد غالب يتناسى حقده عليه، ويقبل عرضه ويوافق على الزواج المقترح، غير أن محمد بن أبى عامر عندما علم بهذه المكائد التي قد تفسد عليه جميع خططه، بادر بكل ما وسعه إلى إفساد ما أزمع عليه الوزير جعفر المصحفى، وأرسل إلى القائد غالب الناصري يذكره باتفاقهما السابق، ويحيى في نفسه جميع الأحقاد ضد الوزير جعفر، ويبين له أن هذا شراك ينصبه له، وفى الختام طلب أن يزوجه ابنته أسماء بدلاً من عثمان ابن الوزير جعفر المصحفى[1]، وفى هذا يقول ابن الأبار: "استطال عليه (أي على الوزير جعفر المصحفى) محمد بن أبى عامر بكفايته ودفاعه العدو المتكالب، لأول ولاية هشام ووفاة الحكم، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد"[2].

وعلى كل فقد نجح محمد بن أبى عامر فيما مارسه، حتى أنه ما وافى شهر المحرم ٣٦٧هـ/ أغسطس أو سبتمبر ٩٧٧م حتى تم عقد محمد بن أبى عامر على أسماء ابنة غالب الناصري[3]. وهذا ما بينه ابن عذارى بقوله: "وكاتب جعفر غالبًا يستخلصه ويستميله، ويخطب بنته لابنه، فتجددت بينهما ألفة، وجرى عقد فى المناكحة، وانكشف ذلك لابن أبى عامر، فكاتب غالبًا ينشده العهد وألقى أهل الدار عليه فى فسخ المصاهرة، فكاتبوه في ذلك، فانحرف إلى ابن أبى عامر، وحل عقدة جعفر فى نكاحه، وأنكح ابن أبى عامر أسماء ابنته، فكانت أحظى نسائه"[4].

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٤ هامش ٣؛ ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩.

(٢) ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٩؛ ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٥.

(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧؛ المقري: مصدر سابق، مج٣، ص ٨٩.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩.

ولم يمض قليل على ذلك حتى خرج محمد بن أبى عامر إلى غزوته الثالثة فسار إلى طليطلة(١)، حيث التقى بصهره غالب الناصري، فسارا شمالاً بقواتهما قاصدين شلمنقة الواقعة جنوبي غربي مملكة ليون فاقتحماها واستولا على كثير من الغنائم والسبي، بعدها عاد محمد بن أبى عامر، ومعه عدد من رؤوس النصارى، فأغتبط الخليفة لصنعه ورفعه إلى خطة الوزارتين، أسوة بصهره غالب، ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة آنذاك(٢)، وبعد هذه الغزوة زفت أسماء - أجمل نساء عصرها وأوفرهن حظًا وثقافة - ابنة القائد غالب إلى محمد بن أبى عامر برعاية الخليفة هشام. وكانت أسماء قد تزوجت لأول مرة بالوزير ابن حُدير - صاحب خطة المظالم أيام الخليفة الحكم - ثم طلقت منه(٣).

وهكذا أدت المصاهرة بين محـمد بن أبى عامر والقائد غالب الناصري إلى ازدياد مكانة الأول في البـلاط الأموي بالأندلس، مما مكنه من السيـطرة على دفة الأمور، فى ذات الوقت تضائل نفوذ الحاجب جعفر المصحفى(٤)، كما نال القائد غالب الناصري من القدر والحظوة ما جعله من أكبر رجال الدولة، حيث قلده الخليفة هشام خطة الحجابة إلى جانب جعفر المصحفى(٥)، وغدت له الصدارة فى الاحتفالات، فكان يجلس وإلى يمينه الوزير جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر إلى يساره(٦)، وكان هذا الحدث ضربة جديدة

(١) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس، وهى غربي ثغور الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٥٢٩.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٧؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٥٢٩.

(٤) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٥.

(٥) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٥.

(٦) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٥؛ ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٩؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٥٣٠.

للوزير جعفر الذي لم يسعه إلا الإذعان والسكوت، وقد أضحى يشعر شعوراً كبيراً بالخطر المحدق به، وبأنه لم يبق له من الحجابة سوى الاسم، ولم ينخدع بما كان يبديه نحوه ابن أبى عامر من التلطف والمصانعة، وهو يقبض دونه على كل شيء فى القصر الخلافي والدولة، وأيقن بنكبته ومن ثم كف عن اعتراض محمد بن أبى عامر في شيء من التدابير[1].

ـ نكبة الوزير جعفر المصحفي ونهايته.

جاءت علاقة المصاهرة التي ربطت بين محمد بن أبى عامر والقائد غالب الناصري ـ وكما سبق القول ـ بداية النهاية لمكانة الوزير الحاجب جعفر المصحفي في بلاط الخلافة الأموية بالأندلس، حيث بدأت سطوته تتلاشي تدريجيًا، وانفض عنه جميع صنائعه والتفوا حول خصمه محمد بن أبي عامر، ووقعت به نكبة مروعة[2]، ففي الثالث عشر من شعبان سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م أصدر الخليفة هشام أمرًا بإقالة الوزير الحاجب جعفر المصحفي، والقبض عليه، وعلي ولده وآله، والتحفظ علي أموالهم، وبادر محمد بن أبي عامر إلي محاسبتهم واستصفاء أموالهم، وشدد في مطاردتهم، حتى مزقهم كل ممزق، وتم قتل هشام ابن أخي الوزير جعفر المصحفي في مطبقه[3]، وكان من أشد الناس عداوة لابن أبي عامر[4]، وقيل أن السبب في قتله أنه قد توصل إلي أنه سرق من

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٥؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٨٩؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥٣٠.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والجزء والصفحة؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج ٣، ص ٩٠.

(٣) المطبق: هو سجن فى باطن الأرض، وسمى بهذا الاسم؛ لأنه يطبق على السجناء فيحول بينهم وبين النور، ويتصف بالظلام الدامس والعزلة الوحشة. أنظر: التنوخى: الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجى (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م)، ج٢، ص ١٥٠.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٨؛ المقري: المصدر السابق، مج ٣، ص٩٠.

رؤوس النصارى التي كانت تحمل بين يدي أبن أبي عامر في الغزوة الثالثة؛ ليقدم بها علي الحضرة، فغاظ ذلك ابن أبي عامر، فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفى(١).

أما الوزير الحاجب جعفر المصحفي فقد زج به إلي ظلام السجن، يعتقل فيه حينًا، ثم يعتقل حينًا أخر في داره(٢)، وأضطر إزاء التشدد في مطالبته أن يبيع داره الفخمة بالرصافة، وكانت من أعظم دور قرطبة، وأمعن محمد ابن أبي عامر في نكايته، واستجوابه بمحضر من زملاؤه القدامى(٣)، وهكذا استطالت محنة الحاجب جعفر المصحفي أعوامًا، عاني خلالها آلام المهانة والمذلة(٤).

وقد ذكر ابن الأبار: "إن محمد بن أبى عامر كان يحمله معه في الغزوات تعنيتًا وانتقامًا منه، فلما بان عجزه وضعفه أقره بالمطبق"(٥)، وظل الوزير جعفر المصحفي يستعطف محمد بن أبي عامر فلا يرحمه(٦)، فقد كان ـ وعلي حد قول ابن عذارى ـ: "أخور الناس وأزلهم، وأحبهم للحياة، حيث بلغ به الطمع في الحياة أن كتب إلي محمد بن أبي عامر يعرض نفسه عليه لتأديب ابنيه عبد الله وعبد الملك، فقال محمد بن أبي عامر أراد أن يستجهلني ويسقطني عند الناس، وقد عهدوا مني ببابه مؤملاً، ثم يرونه اليوم بدهليزي معلمًا"(٧).

---

(١) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٦٦؛ المقري: المصدر السابق، مج٣، ص ٩٠.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٦٦.

(٣) نفسه.

(٤) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٦٦؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٨ – ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص ٩٠.

(٥) ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٨.

(٦) المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٦٠١، مج٣، ص ٩٠.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٨؛ المقري: المصدر السابق، مج١، ص ٦٠٢.

ويبدو أن النكبة التي وقعت بالوزير الحاجب جعفر المصحفي وأسرته لم تكن مفاجأة له، بل كان يتوقعها علي إثر ما كان يصنعه من مظالم في العامة، حيث ذكر أنه عندما هم بتوديع أهله وودعوه وداع الفرقة - حيث أمر بحبسه - قال لهم لستم ترونني بعدها حيًا، هذا وقت إجابة الدعوة، وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة، فلما سألوه عما يقصده من قوله العجيب هذا، قال لهم: "رفع علي أحدهم أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، وسعي به إلي فأشرفت علي أعماله، فآل أمره إلي ضربه وتغير نعمته، وإطالة حبسه، .فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ أتاني أت فقال لي: أطلق فلانًا فقد أجيبت دعوته فيك، ولهذا أمر أنت لابد ملاقيه، فانتبهت مزهوًا وأحضرت الرجل وسألته إحلالي فامتنع عليّ، فاستحلفته علي إعلامي بما خصني به من الدعاء فقال: نعم دعوت الله أن يميتك في أضيق السجون، كما أعمرتنيه حقبة، فعلمت أنه قد وجبت دعوته لأني كنت ممن شارك في أمره، وندمت حيث لا ينفع الندم، وأطلقت الرجل ولم أزل أرتقب ذلك[1] .

وكيفما كان الأمر، فقد جد محمد بن أبي عامر في مكروهه، وأدق حسابه، وأمر بإحضاره إلي مجلس الوزراء بقصر الخلافة ليناُظر بين أيديهم فيما أدعي عليه من الخيانة، فتردد إلي هذا المجلس مرارًا، وأقبل أخر مرة إليه فحاكموه محاكمة طال أمدها، ولم تعوزهم الأدلة علي إدانته، ومن ثم قضوا بمصادرة أملاكه وبيع قصره الفخم بضاحية الرصافة[2] .

وقد ورد أنه لما وقف أخر مرة أمام قضاته كان السن وطول الحبس وشدة الغم قد تعاونت في الحط من قواه، حتى كاد أن يعجز عن قطع المسافة من الزهراء إلي حيث كان قضاته، كل ذلك وحارسه لا يكف عن الشد عليه وحثه علي الإسراع حتى لا يطول انتظار المجلس له، وإذ ذاك قال له الوزير جعفر المصحفي، رفقًا بي يا بني فستدرك ما

(١) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٨؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٠؛ المقري: المصدر السابق، مج١، ص ٦٠١؛ رينهرت دوزي: مرجع سابق، ج٢، ص١٠٨.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٦٦.

تحبه وتشتهيه، ويا ليت أن الموت يباع فأغلي سومه حتى يرده من قد أطال عليه حومه، ثم أنشد قائلاً:

لا تـــأمنن مـــن الزمـــان تقلبًـــا | إن الزمـــان بأهلـــه يتقلـــبُ
ولقـــد أرانـــي والليـــوث تهـــابني | وأخـــافني مـــن بعـــد ذاك الثعلـــب
حَـــسب الكـــريم مهانـــة ومذلـــة | ألا يـــزال إلـــي لئـــيم يطلـــبُ[1]

فلما دخل علي قضاته أخر مرة انتحي زاوية من المجلس دون أن يُحيي أحداً منهم، فصاح به الوزير محمد بن حفص بن جابر الذي كان يتودد إلي محمد بن أبي عامر قائلاً: "بئس الأدب لأدبك، أما حييت!، فلم يقل الوزير جعفر المصحفي شيئًا ولازم الصمت[2]، فعاد الوزير محمد بن حفص يلومه ويعنفه، فقال له جعفر المصحفي: "يا هذا جهلت المبرة فاستجهلت صانعها، وكفرت السيد فقصدت الأذى ولم ترهب مقدمها، ولو أتيت فكراً لكان غيرك أدري.. لقد نسيت الأيادي الجميلة والمبرات الجليلة.."[3].

فبهت الوزير محمد بن حفص لهذه العبارة، لكنه سرعان ما تمالك نفسه وقال: "هذا هو البهت بعينه، وأي أياديك الغر مننت بها، ثم أخذ يعدد له أموراً أنكرها عليه، فلما فرغ من كلامه رد عليه الوزير جعفر المصحفي قائلاً: "هذا ما لا يعرف، والحق الذي لا يرد ولا يصرف رفعي القطع عن يمناك، وتبليغي لك إلي مُناك"[4] فاقسم محمد بن

(١) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٦٩، ٢٧٢؛ رينهرت دوزي: مرجع سابق، ج٢، ص ١٠٢.
(٢) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٤٢٢؛ محمد ماهر حمادة: مرجع سابق، ص ٢١٦.
(٣) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٤٢٢؛ محمد ماهر حمادة: مرجع سابق، ص ٢١٦.
(٤) ابن عذاري: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٩؛ محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص ٢١٦ – ٢١٧.

حفص علي بطلان التهمة، فانفجر الوزير جعفر غاضبًا، وقال: "أنشد الله من له علم بما أذكر إلا اعتراف به فلا ينكره"، فقال الوزير ابن عياش، قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن (يقصد الوزير جعفر المصحفي) وغيرك أولي بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك"، فقال الوزير جعفر: "أحرجني الرجل فتكلمت، وأحوجني إلى ما به أعلمت"[(١)].

وكان هناك وزيرًا آخر حاضرًا المجلس يستمع النقاش وهو الوزير ابن جهور علي بن محمد بن حفص، وعلي الرغم من كراهيته للوزير جعفر المصحفي وسعيه في إهلاكه، إلا أنه عرف أنه ينبغي علي المرء أن يرعي حرمة خصمه لاسيما إذا استذل، وكان ابن جهور من أسرة قديمة بارزة بالأندلس، فتكلم وقال للوزير محمد بن حفص بن جابر: "أو ما علمت يا ابن جابر أن منكوب السلطان لا يسلم علي أوليائه؛ لأنه إن فعل ألزمهم الرد، فإن فعلوا أحاق بهم من سخط السلطان ما يخشي ويخاف، وإن تركوا الرد أسخطوا الله وتركوا ما أمر به الله تعالي في قوله:

"وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا"[(٢)].

فصار الإمساك أحسن، ومثل هذا لا يخفي علي أبا الحسن. فخجل محمد بن حفص بن جابر، ولازم الصمت، بينما ارتسمت فرحة باهتة في وجه الوزير جعفر المصحفى، وهنا تابع القضاة محاكمتهم له، وراحوا يكيلون له التهم ليسلبوه كل ما لديه فصاح بهم: "والله قد استنفدت ما عندي من الطارق والتالد، ولا مطمع لي في درهم، ولو قطعت إربًا إربًا، فتركه القضاة وأمروا بصرفه إلى محبسه في مطبق الزهراء، فكان أخر العهد به، وأخذ الوزير جعفر المصحفي ينتقل بين الحرية والأسر[(٣)]. وما لبث بمطبق الزهراء إلا

(١) ابن عذارى: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة؛ المقري: المصدر السابق، مج١، ص ٤٢٢ – ٤٢٣؛ محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ٢١٧.

(٢) سورة النساء: آية (٨٦)؛ وأنظر: المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٤٢٣.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٩؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٤٢٣؛ محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص ٢١٧.

أيامًا، وأخُرج ميتًا، وأسلم إلي أهله، فقيل قتل خنقًا في البيت المعروف "ببيت البراغيث" في المطبق، وقيل دست إليه شربة مسمومة، وكان ذلك في سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م(١).

وجاء في وفاته علي لسان محمد بن إسماعيل كاتب المنصور محمد بن أبي عامر ما قوله: "سُرت مع محمد بن مسلمة إلي الزهراء لتسليم جسد جعفر إلي أهله وولده، والحضور علي إنزاله في ملحده، فنظرت إليه، ولا أثر فيه، وليس عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين ستره به، فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله (والله!) علي فرد باب أقتلع من ناحية الدار، وأنا أعتبر من تصرف الأقدار، وخرجنا بنعشه إلي قبره، وما معنا إلا إمام المسجد المستُدعي للصلاة وما تجاسر أحد علي النظر إليه"(٢).

ثم أضاف محمد بن إسماعيل قائلاً: "وإن لي في شأنه لخبرًا ما سمع بمثله طالبُ وعظ، ولا وقع في مسمع ولا تصور للحظ، وقفت له في طريقه أيام نهيه وأمره، أروم أن أناله قصة كانت به مختصة، فو الله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة، لكثافة موكبه وكثرة من حاق به، وأخذ الناس السكك عليه، وأفواه الطرق، ينظرون إليه ويسلمون عليه حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لأخذ القصص، فانصرفت، وفي نفسي ما فيها من الشرق بحاله والغصص، فلم تطلُ المدة حتى غضب عليه المنصور، وأعتقله، ونقله معه في الغزوات ذليلاً وحمله، واتفق أن نزلت بجليقية في بعض المنازل إلي جانب خبائه في ليلة نهي فيها المنصور عن وقد النيران ليخفي علي العدو أثره، ولا

(١) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٦٦؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧٠؛ المقري: نفس المصدر السابق، مج١، ص ٦٠١؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٠؛ شيماء فرغلي سيد على: الجريمة والعقوبة فى الأندلس عصر الإمارة الخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة القاهرة ٢٠١٠م، ص ١٨٥، وهامش ٣٢٥، ص ٢٠٩.

(٢) ابن بسام: نفس المصدر السابق والقسم والمجلد، ص ٦٦ - ٦٧؛ ابن عذاري: البيان، ج٢، ص ٢٧٠؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٩٠ – ٩١.

ينكشف له خبره فرأيت ـ والله ـ ابنه عثمان يُسقه دقيقًا قد خلطه بماء يقيم به أوده، ويمسك به رمقه بضعف حال، وعدم زاد ومال[1].

وأخذ الوزير جعفر المصحفى يقول:

تأملت صرف الحادثات فلم أزل ... أراها توفي عند موعدها الحرا

فلله أيام مضت بسبيلها ... فإني لا أنسي لها أبدًا ذكرا

تجافت بها عنا الحوادث برهة ... وأبدت لنا منها الطلاق والبشرا

ليالي ما يدري الزمان مكاننا ... ولا نظرت منها حوادثه شزرا

وما هذه الأيام إلا سحائب ... علي كل أرض تمطر الخير والشرا[2]

ويعلق أحد المؤرخين علي محنه الوزير جعفر المصحفى بقوله: "وكانت لله عند جعفر في إيثاره هشامًا بخلافته، وإتباع شهوة نفسه وحظ دنياه، وتسرعه إلي قتل المغيرة لأول وهلة، دون قصاص جريرة استدركته دون إملاء، فسلط عليه من كان قدر أن يتسلط علي الناس باسمه"[3].

ـ الوزير جعفر المصحفى أديبًا وشاعرًا.

عرف عن الوزير جعفر بن عثمان المصحفى أنه كان مقدمًا في صناعة الكتابة، مفضلاً علي طبقته بالبلاغة، وله شعر كثير مدون يدل علي تمكنه، وفي هذا يقول ابن عذارى: "كان جعفر بن عثمان أحد شعراء الأندلس المحسنين المنصرفين في أنواع الشعر من

(١) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع – المجلد الأول، ص ٦٦-٦٧؛
ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٠ – ٢٧١؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٢، مج٣، ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٩١ – ٩٢.

(٣) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٥٣١. وأنظر كذلك: عبد العزيز عبد المجيد: ابن الأبار حياته وكتبه (جامعة مانشستر: ١٩٥٢م)، ص ٢٦:

المديح والأوصاف والغزل غاية في كل ذلك في الرقة والإبداع والحسن "[1]، ويضيف الحميدي قائلاً: "جعفر بن عثمان أبو الحسن الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفى كان من أهل العلم والأدب البارع، وله شعر كثير رائع، يدل علي طبعه وسعة أدبه "[2]، فمن أشعاره:

سألت نجوم الليل: هل ينقضي الدجى؟ ... فخطت جوابًا بالثريا كخط "لا"!
وكنت أري أني بآخر ليلة ... فأطرف حتى خلته عاد أولاً
وما عن هوي سامرتها، غير أنني ... أنافسها المجري إلي رتب العلا[3]

وله من الشعر أيضًا:

أما - والهوى - ما كنتُ أعرف ما الهوى ... ولا ما دواعي الشوق حتى تكلَّما
دعاني بلفظٍ لو دعا "يَذْبُلاً"[4] به ... لَلَبَّاهُ مشتاقًا ووافاه مُغْرمًا

وله من الشعر كذلك، ويروي أنه لغيره:

كلمتني فقلتُ: دَّر سَقَيّطُ ... فتأملتُ عقدَها هل تناثر
وازدهاها تبسُّم فأرتنا ... عقدَ درّ من التبسم آخر[5].

---

(1) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٤؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٤٠٣.
(2) الحميدي: جذوة، ص ١٨٧ – ١٨٨.
(3) ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٩.
(4) يذبل: هو الجبل الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

أنظر: ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠ هامش ١.
(5) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠.

ومن أشعاره ما ورد قوله :

إن فاه أشربت الضلوع هوي ... حتـــى كـــأن جميعهـــا أذن
لا تنكروا كلف الضلوع به ... فحديثه لـو جيبهـا سـكن[1]

وللوزير الحاجب جعفر المصحفى شعر ذكره أبي الحسن القرطبي في كتابه : " الفرائد في التشبيه " منسوبًا إليه نصه :

بادر، فإن نذير الغيث قد نذرا ... مجـــددًا لـــسرور كـــان قـــد دثـــرا
أرْختْ عَزاليهِ وأصطرَّت[2] بعُنصره ... ريحُ الصَّبا واسـتدرّت دمعَه فجـري
أوْفيَ فبرَّد من حرّ القلوب كما ... أوفي علينـــا حبيـــبٌ طالمـــا هَجــرا
فلاقِه بكؤوسِ الراح مُتَرعةً ... شكرًا له، فكريمُ القوم من شـكرا[3]

وله من الشعر في سوسنة :

يـــاربّ سوســـنةٍ قـــد بـــت أَلْثمُهـــا ... وما لها غـير طعـم المسك مـن ريـق
مـــصفرةُ الوسَـــط، مبـــيض جوانبُهـــا ... كأنهـا عاشـق في حجـر معـشوق[4]

وله من الشعر في الخيال :

لـــئن ســـلبوني شخَـــصه ووصـــالَهُ ... لمـــا قـــدروا أن يـــسلبوني خيالَـــهُ
إذا حجبـــت عـــني الحـــوادثُ وجهَـــهُ ... أقام الهوى لي حيث كنـتُ مثالَـهُ[5]

(١) ابن الأبار : نفس المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠.
(٢) صوتت . أنظر : ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠ هامش ٢.
(٣) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠.
(٤) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦١.
(٥) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦١.

وللوزير جعفر المصحفى من الشعر أيضًا :

وكم مهْمَـة لا يوجـد الركـب مـشرعًا ... قطَعتُ، وبحـرٍ شـامخِ المـوجِ أسـفَعا
خَصِمٌ إذا استعلتْ به الشمسُ لم يـزلْ ... يطاولهـا حتـى تمـلَّ فتخـضعا
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما ... غـدا مغَرِبًـا تجـري إليـه ومطَلعًـا
إذا ما ارتمت أمواجه خلتَ أنها ... ذري الُّـشمِّ أَمتنـا مـن الـبرِّ نُزعًـا
تقاذف في رحَبِ الجمال بَسيطُها ... يَردَّ وفـودّ الـريح خَـسْري وظُلعـاً(١)

وله من الشعر في تفاحة :

لعمري لئن أهديتُ نفسي وما حوتْ ... فأنـت بهـا مـني أحـق وأملـكُ
ولكنني أهدي التي لا تردها ... يمينٌ ولا فيهـا لـذِي اللحـظ مَتـركُ
تناولتهُا من غصنها وكأنها ... مـن الحـسن ذاك النـاجمُ المتفلّـكُ(٢)

وله في سفرجلة ما نصه :

ومـصفرةٍ تختـالُ في ثـوب نَـرجْسِ ... وتَعْبـق ُعـن مـسك ذكـيّ التـنفسِ
لهـا ريـحُ محبـوبٍ وقـسوة قلبـه ... ولـونُ محـبٍ حُلـة الـسقمِ مكـتسَ
فـصُفرتها مـن صـفرتي مـستعارةً ... وأنفاسَـها في الطيـب أنفـاسُ مـؤنسِ
فلمـا اسـتَتمتْ في القـضيب شـبابهَا ... وحاكت لهـا الأنـوأء أبـرادَ سُـنْدُسِ
مددُت يدي بـاللُّطف أبغـي اقتطافَهـا ... لأجعلـهَا ريحـانتي وَسْـطَ مجلـس
وكـان لهـا ثـوب مـن الزُّغـب أغـبرّ ... يـرفُّ علـي جـسم مـن التـبر أملـس
فلمـا تعـَّرتْ في يـدي مـن لباسـها ... ولم تبـق إلا في غلالـة نـرجس

(١) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١ ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١ ، ص ٢٦١ .

ذكرتُ بها من لا أبوح بذكره فأذبلَها في الكف حَرُّ تنَفَسى[1]

هذا وقد أهديت إليه مجموعة ورد في زمن البرد فاستغربها وكتب إلي مهديها قائلاً[2]:

لعمرك ما في فطرة الروض قدوةٌ يحيلُ بها مجري الزمان عن القَصدْ
ولكنها أخلاقك الغر نبَّهت بَرِبْعك في كانون نائمة الورد[3]

وللوزير جعفر المصحفى شعراً في الخمر قال فيه:

صفراء تطرق في الزجاج فإن تسرتْ في الجسم دبَّت مثل صلِّ لاذعِ[4]
خفيت علي شرابها فكأنما يجدون ريّاً في إناء فارغ
عبث الزمان بجسمها فتسترتْ عن عينها في ثوب نورٍ سابغ[5]

وله من الشعر أيضًا:

كم ليلة بتُّ أطويها وأنشرها ولا أري في الذي أقضي بها حرجا
في فتية نجب صاروا بمعتركٍ يجري النعيم علي الصرعى بها خلجا

---

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٢.

(٢) ذكر ابن الأبار أن من أرسل هذا الورد للوزير الحاجب جعفر المصحفى هو الوزير زياد بن أفلح صاحب الخيل أيام الخليفة الحكم المستنصر. أنظر: ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٢ هامش٤.

(٣) ورد أن زياد بن أفلح عندما وصل إليه هذا النظم المستملح من الوزير جعفر المصحفي، فإنه بعث إليه بوردة كان خصها لنفسه، وكتب إليه بيتين قال فيهما:

فاجأني كانون بالورد فزادني وجداً إلي الوجد
ورُد العلا أهدي لنا وردة يا حبذا الورد من الورد

أنظر: ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٢، هامش ٤.

(٤) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣.

(٥) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٢٥.

والجـو ملتحـف ﴿ . . . . ﴾[١] والـنجم مكحولـة ألحاظـه وعجـا
لُفـوا دُجَـي ليلـهم في نـور كاسـهُم ونفسوا مـن خنـاق الـزق فانبلجـا[٢]

وللوزير جعفر المصحفي أيضًا :

لعينيـكَ في قلـبي علـيَّ عيـونُ وبـين ضـلوعي للـشجون فنـونُ
لئن كان جسمي مَخْلَقًا في يـد الهـوى فحبّـك غـض في الفـؤاد مـصون[٣]

ويضيف ابن الأبار علي ذلك قائلاً :

نـصيبي مـن الـدنيا هـواك، وإنـه عـذابي ولكـني عليـه ضـنين[٤]

وله من الشعر كذلك :

يـا ذا الـذي لم يَـدعْ لـي حبه رمقـاَ هـذا مُحبـك يـشكو البـثّ والأرقـا
لو كنت تعلـم مـا شـوقي إليـك، إذا أيقنـتَ أن جميـعَ الـشوق لـي خُلِقـا
لم يبْصرِ الُحسنَ مجموعًـا علـي أحـد منَ ليس يبـصُر ذاك الخـدّ والعنقـا[٥]

ومن نظم الوزير جعفر المصحفي والتي سطرها – وقت أن كان كاتبًا لولي العهد الحكم المستنصر – بمناسبة انتقال الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله عن سرقسطة ما قوله :

علـي أيمـن الأوقـات كـان ارتحالـك وفي أيمـن الـساعات كـان احتلاكـًا
تنقلـت عـن دار الـشقاق مظفـراً وقـد صـال بالمخـذول فيهـا صـيالكا
وحاربـت ذا الـسيف العـريض بميتـة أرت مستجيش الشرك كيف اغتيالكا

(١) بياض بالأصل : أنظر : ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣، هامش ١ .
(٢) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣ .
(٣) ابن عذارى : البيان، ج٢، ص ٢٥٥ ؛ المقري : نفح الطيب، مج١، ص ٤٠٣ .
(٤) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣ .
(٥) ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٣ .

وأقفلــت عــنهم والمنايــا صــوايب ... تــسيل بهــا في ســاحتيهم ســجالكا
إذا مــا الفــري رام اغــتلاق جفــونهم ... فخطفــه بــالخوف عــنهم خيالكــا
وإن ذهبــوا للــسير في الأرض مــذهبًا ... تــراءي لهــم في كــل أفــق مثالكــا
هــل الأجــل المرهــوب إلا صــيالكا ... أم الأمــل المرغــوب إلا نوالكــا
بقيــــت أمــــير المــــؤمنين مملكًــــا ... فما الروضة الزهـراء إلا جلالكـا[1]

وللوزير أبي الحسن جعفر المصحفى من الشعر كذلك ما رثا به الحكم المستنصر في وفاة والده الخليفة عبد الرحمن الناصر والبيعة له ما نصه:

ألا إنَّ أيامًــــا هَفَــــتْ بإمامهــــا ... لجــــائرة مُــــشْتَطّة باحتكامهــــا[2]
تأمَّــل: فهــل مــن طــالع غــير آفــل ... لهــنَّ[3]، وهــل مــن قاعــد لقيامهــا؟
وعــاين: فهــل مــن عــائش برضــاعها ... مــن النــاس إلا ميِّــتٌ بفطامهــا؟
كــأنَّ نفــوَس النــاس كانــت بنفــسه ... فلمــا تــواري أيقنــتْ بحمامهــا
فطــار بهــا يــأُس الأســى وتقاصــرتْ ... يد الـصبر مـن إعوالهـا والتـدامها[4]

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ـ القسم الثاني، ص ٦٩٧.
(٢) وردت هذه الكلمة عند ابن عذارى في احتكامها. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٣.
(٣) جاءت هذه الكلمة عند ابن عذارى لَهُنَّ، وهناك بيت قبل هذا البيت لم يذكره ابن الأبار وذكره ابن عذارى وهو:

فَلمْ يُولمِ الدُنيا عظامُ خَطَوبها ... وأَحْداثها إلا قُلُوبَ عظاَمها

أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٣، ص ٢٢٣.
(٤) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٤.
أما عن كلمة والتدامها فقد وردت عند ابن عذارى واحتدامها. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٣.

وله كذلك:

إمـــام تلَّقتــه الخلافـــةُ صَّـبة ... إلـي نَـسَمٍ محمولـة عـن إمامهـا
فـصارت إليـه في حـدود تمامـه ... فلـم ينتقـلْ بالنـاس يـومَ انتقالهـا
إليـه سـبيلٌ عـن محـل قَوامهـا ... أتـوه فـأعطوه المواثـق عـن هَـوي
تمكـن في أبـشارها وعظامهـا ... ونـاولهم كَفًـا يطـول الهَـوي بهـا
رضـا الله في تقبيلـها واسـتلامها ... أنـاف علـي الـدنيا بعـين محيطـة

وقال: ادخلوا في أمنها وسلامها![1]

ومن شعره أيضًا:

يطالعنـا في كـل يـوم بغُـرَّه ... بنـو الـدين والـدنيا معًـا يأملونهـا
إذا مـا تراءتـه العيـونُ تواضـعتْ ... لإجلالـه عـن أن تقـل شـؤونها
عليهـا مـن الـرحمن نـورُ جلالـة ... يقـصر بالألحـاظ أن تـستبينها[2]

وللوزير جعفر المصحفي من الشعر ما قاله في سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م استبشاراً بحمل السيدة صبح البشكنشية بالأمير عبد الرحمن المولود الأول للخليفة الحكم المستنصر، حيث أرسله إلي الخليفة مهنئًا وقد جاء فيه:

هَنيئًـا للأنـام وللإمـامِ ... كَـريمٌ يـستفيد علـي كـرامِ
مُرَجَّـي للخلافـة وَهْـوَ مـاءً ... مـأمول لآمـال عَظـامِ
أضـاء علـي كريمتـه ضـياء ... فلَـم تَعْلَـمْ بغاشـبة الظـلامِ
ولـم لا يُستَـضاءَ بجانبهـا ... وبـين ضُلُوعها بَـدْر التمـام[3]

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) ابن الأبار: المصدر الساق، ج١، ص ٢٦٤.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٧.

وعندما أنجبت السيدة صبح البشكنشية زوجة الخليفة الحكم المستنصر بالله ولدها الثاني هشامًا الملقب بالمؤيد بالله بُشر الخليفة الحكم، وكان الوزير جعفر بن عثمان المصحفي جالسًا معه آنذاك في خلوة، فقال الوزير جعفر علي البديهة مهنئًا:

أطْلَعَ البدرُ من حجابهْ ... وأطّرد السيفُ من قرابهْ
وجاءنا وارثُ المعالي ... ليُثبتَ المُلكَ في نصابه
بشرنا سيدُ البرايا ... بنعمة الله في كتابهْ
لو كنتُ أعطي البشيرُ عُمري ... لم أقض حقًا لما أتي به[1]

وعندما استولي المنصور محمد بن أبي عامر المعروف بفتي الدولة على الحجابة من الوزير جعفر المصحفي، وقام بسجنه، فقد أخذ الأخير يقول:

غَرَسْتُ قضيبًا خلتُه عُود كرمْة ... وكنتُ عليه في الحوادث قَيماّ
وأكرمُه دَهْري فَيْزداد خُبْثُهُ ... ولو كان من أصل كريم تكرّما[2]

وله من الشعر في نكبته وما حدث علي يد المنصور محمد بن أبي عامر أثناء حمله معه في إحدى غزواته بجليقية ضد نصارى الشمال إذلالا له، حيث قال:

تأملتُ صَرفَ الحادثات فلم أزلْ ... أراها توافي عند مَقصدها الحُرّا
فلله أيام مضت لسبيلها ... فإني لا أنسي لها أبدًا ذكرا
تجافت بها عنا الحوادثُ برهةً ... وأبدت لنا منها الطلاقةَ والبشرا
ليالىَ لم يدرِ الزمانُ مكاننا ... ولا نظرتْ منا حوادثه شَزْرا
وما هذه الأيامُ إلا سحائبٌ ... علي كلِّ حال تُمطر الخيرَ والشرا[3]

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٤ – ٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٣٧.
(٢) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٧٠؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٣.
(٣) ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٦٤ – ٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧١؛ المقري: نفح الطيب، مج٣، ص ٩١ – ٩٢.

وله من الشعر أيضًا، وقد أودعه المنصور محمد بن أبي عامر المطبق قال فيه:

أجاري الزمان على حاله ... مجاراة نفسي لأنفاسها
إذا نفسي صاعدٌ شفَّها ... توارت به بين جُلاَّسها
وإن عكفتْ نكبةٌ للزمان ... عكفت بصدْري عليَ رأسها[1]

ومن بديع ما حفظ للوزير جعفر المصحفي في نكبته قوله:

صَبَرتُ علي الأيام لما تولت ... وألزمتُ نفسْي صبرها فاستمَرت
فيا عَجَبًا للقلب كيفَ اصطبارهُ ... وللنفس بعد العز كيف استذلَّت
وما النفس إلا حيثَ يجعَلها الفتَي ... فإن طُمَعت تاقتْ وإلا تسلَتُ
وكَانت عَليَ الأيَّام نفسي عَزَيزة ... فَلَّما رأتْ صبري علي الذُل ذَلَّت
وقَلْتُ لها ياَ نفس موُتي كريمة ... فقد كانت الدُنيا لنا ثم ولّت[2]

وله من الشعر ما يستعطف به المنصور محمد بن أبي عامر لعله يطلق سراحه بعد أن استمرت نكبته سنين عدة، وهو يحبس في مطبق الزاهرة مرة ويطلق أخري، حيث جاء فيه:

عَفَا اللَّه عنك ألا رحمَة ... تَجودُ بعفوكَ أن أبعَداَ
لئن جَل ذنب ولم أعتمدهُ ... فأنت أجلّ وأعلي يدا
ألم تر عبدًا عدًا طورهُ ... وقَوليَ عَفَا ورَشَيدا هدي
ومفُسدَ أمر تلافيته ... فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلِيني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرفُ عنك الروي[1]

(١) الحميدي: جذوة، ص ١٨٨؛ ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٩.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

وله كذلك :

هبني أسأتُ، فأين العفو[٢] والكرمَ ... إذ قادني نحوكَ الإذعانُ والندمُ؟

يا خيرَ من مُدَّت الأيدي إليه، أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلم؟

بالغتَ في السُخْط فاصفح صفح مقتدرِ ... إن الملوك إذا ما استُرْحُموا رحَموا[٣]

ويبدو أن هذه الأبيات أثرت تأثيرًا سيئًا علي المنصور محمد بن أبي عامر، وكان لها نتائج سلبية، إذ أنها زادت من غضبه، وجعلته يصمم علي استمرار اعتقال الوزير جعفر بن عثمان المصحفى مدي الحياة[٤]، وأمر عبد الملك بن إدريس الجزري[٥] أن يجاوبه عن هذه الأبيات[٦]، فقال :

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٨ .

(٢) وردت هذه الكلمة عند ابن بسام الفضل بدلاً من العفو. أنظر : ابن بسام : الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٩ .

(٣) ابن بسام: المصدر السابق، القسم الرابع - المجلد الأول، ص ٦٩؛ ابن الأبار: كتاب الحلة السيراء، ج١، ص ٢٦٥؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠١؛ محمد ماهر حمادة: مرجع سابق، ص ٢١٥ .

(٤) محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص ٢١٥ .

(٥) عبد الملك بن إدريس الجزري: هو أبو مروان عبد الملك الجزيري أحد شعراء المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر، وهو معدود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم، ومن الطريف أن عبد الملك الجزيري سارع إلي الرد علي أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصحفي متكلمًا بلسان المنصور محمد بن أبي عامر، فأرادت المقادير أن يلقى نفس الميتة علي يد عبد الملك المظفر بن المنصور محمد بن أبي عامر، إذ أنه زال يسعي حتى وصل إلي الوزارة أيام المظفر، ودفعه حقده على عيسى بن سعيد القطاع أكبر وزراء المظفر إلي التآمر عليه، مع فتاه الصقلبي "طرفة" ففشل فيما سعي إليه، وقبض علي طرفة وعليه، وأودع نفس المطبق الذي مات فيه الوزير جعفر بن عثمان المصحفي، ولقي نفس النهاية في شوال سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م. أنظر : ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ هامش ٣ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٩ .

ويقال أن هذه الأبيات لمحمد بن أبي عامر وليست لعبد الملك بن إدريس. عن ذلك أنظر : ابن الأبار : المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٧ .

الآن يا جاهلاً زلّتْ بك القدمُ   تبغـي التكـرمَ لمـا فاتـك الكـرُم؟
أغريتَ بي مَلكاً لولا تثبتُه   مـا جـاز لـي عنـده نُطـق ولا كلـم
فا يأسْ من العيش إذ قد صرت في مطبق   إن الملـوك إذا مـا اسـتنقموا نقمـوا
نفسي إذا سَخطتْ ليست براضية   ولو تشفع فيك العُرب والعجم[1]

وللوزير جعفر المصحفي لما يئس من المنصور محمد بن أبي عامر وصفحه عنه شعراً قال فيه:

لا تأمنن من الزمان تقلُبا   إنـي الزمـانَ بأهلـه يتقلـبُ
ولقد أرانـي والليـوثً تخـافني[2]   فأخافني[3] من بعد ذاك الثعلبَ
حَسْبُ الكريم مذلة ونقيصه[4]   ألا يـزالَ إلـي لئـيم يطّلـب[5]
وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها   فالدهرُ يأتي بعدما هو أعجب[6]
لي مدة لابد أبلغهُا   فإذا أنْقضَتْ أيامها متُ

أما عن هذه الأبيات الواردة في المتن فقد جاءت عند المقري بشكل آخر، حيث قال:

يا جاهلاً بعدما زلَتْ بكَ القدمُ   تَبَغْي التكرم لما فاتك الكرمُ
ندمت إذ لم تعدُ منيّ بطائلة   وقلما ينفعُ الإذعانُ والندمُ
نفسي إذا حجمتْ ليست براجعة   ولو تشفع فيك الُعْربُ والَعَجَمُ

أنظر: المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠١.

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٧.

(٢) جاءت هذه الكلمة عند ابن عذارى تهابني: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٢.

(٣) وردت هذه الكلمة عند ابن بسام وابن عذارى وأخافني. أنظر: ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٢.

(٤) مذلة ونقيصة، ذكرها ابن عذارى مهانة ومذلة. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٢.

(٥) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٢.

(٦) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٦٩؛ ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٣.

لو قابلتني الأسْدُ ضاريةً ـ والموتُ لم يُقدْر[1]ـ لما خفْتُ
فانظر إليَّ وكُنْ على حَذرٍ فبمثلِ[2] حالكَ أمسِ قد

وعلى هذا يتبين أن الوزير جعفر بن عثمان المصحفى مثلما عرف عنه أنه من كبار رجالات الدولة الأموية بالأندلس الذين بلغوا من المكانة ما جعلته يشغل منصب الوزارة ثم الحجابة على عهد الخليفة الحكم المستنصر، ثم هشام المؤيد من بعده، فإنه أيضًا قد بلغ نفس القدر والحظوة بين شعراء وأدباء عصره، حتى عد من أهل العلم والأدب، بل وأحد شعراء الأندلس المحسنين، وظهر هذا في ضوء ما نظمه وما عرضناه له من أشعار سواء في المديح أو الأوصاف أو الغزل، وكلها غاية في الإبداع والرقة والحسن، ولا نبالغ إذا قلنا أن أدبه وشعره، وما عرفه عنه من حسن الخط، كان من العوامل التي قدمته ورفعته لدى خلفاء بني أمية، خاصة عصر الخليفة الحكم المستنصر الذي شغف حبًا بالعلم والعلماء، وزخر بلاطه بهم وبأهل الشعر والأدب.

(١) جاءت عند ابن بسام " لم يدُنُ" . أنظر : ابن بسام : الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٧٠.
(٢) وردت عند المقري في مثل "بدَل" "فبمثل" . أنظر : المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٣.
(٣) ابن بسام: الذخيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، ص ٧٠؛ ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص ٢٦٧؛ المقري: نفح الطيب، مج١، ص ٦٠٣.

الجهود الدبلوماسية والعلمية للوزير اليهودي حسداى بن شبروط عصر الخلافة الأموية بالأندلس

٣٢٧ـ٣٦٥هـ/ ٩٣٨ـ٩٧٥م

ـ المولد والنشأة.

حسداى بن شبروط، هو أبو يوسف حسداى بن اسحق بن عزرا بن شبروط[١]، ولد بمدينة جيان[٢] شرقي الأندلس عام٢٩٧هـ/ ٩١٠م، أو عام ٣٠٢هـ/ ٩١٥م[٣]، فى أسرة يهودية ثرية، عرف عن أبيه اسحق أنه كان رجلاً متديناً، ومن مظاهر ذلك أنه أقام معبداً لليهود بجيان، قصده الدارسون للتوراة، والمهتمين بالأدب من اليهود، وقد أولاهم اسحق جل عنايته بما قدمه لهم من هبات وعطايا[٤].

---

(١) عرف أيضاً باسم حسداى بن شبروط الإسرائيلي الكاتب. أنظر ابن حيان: المقتبس، ص ٤٥٤؛ نجوى سليم مصطفى هدايت: اليهود فى قرطبة فى عصر الخلافة الأموية ٣١٦ـ٤٢٢هـ/ ٩٢٩ـ١٠٣١م، رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٦ هامش(*).

(2) Del Rosal, Jesus Pelaez,et la – coordinator& ed "los Judios en cordoba, s.s.x-xii" Endicion El Alemendro,Cordoba,1988,and an Eng. Trans By: Patricia sneesby,(Madrid,1988),64 .

CF: Mark Kohen: "Hasadai Abu Yusuf Ibn Shabrut,(Shafrut,Bashrut)", The Jewish Encyclopaedia, Adesriptive record of the history,Religion,Literature,and Customs of the Jewish people from the Earliest Time to the present day,Vol.6,pp. 248-249.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٦؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩.

أما عن مدينة جيان: فهي مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة ستون ميلا، وجيان فى سفح جبل عال جداً، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة. أنظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، نشره: ليفي بروفنسال (القاهرة: ١٩٣٧م)، ص ٧٠ـ٧١.

(٣) نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص ١٦؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩.

(4) Del Rosal : op.cit,p.64.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٦.

ويبدو أن ما كان عليه اسحق بن شبروط من التدين دفعه إلى محاولة تعليم ابنه حسداى التوراة والعلوم الدينية، غير أن هوى حسداى اتجه لدراسة اللغات، حتى أتقن اللغة العربية تحدثًا وكتابة، هذا إلى جانب اللاتينية تلك التي تلقاها على يد رجال الدين من القساوسة المسيحيين المستعربين بمدينة قرطبة[1]. كما عرف لغة الرومانس وهى اللغة التي كان يتحدثها أهل الأندلس، والتي شكلت المراحل الأولى للغة الأسبانية الحالية[2].

ولم تكن اللغة وحدها هي مطلب حسداى، بل عكف على دراسة الطب وعلوم التراكيب العلاجية والمعروفة بعلم الصيدلة، من خلال المؤلفات التي دونها الأطباء العرب فى المشرق الإسلامي، أو اليونانيين والتي تم ترجمتها إلى اللغة اللاتينية والعربية[3].

- التحاقه بالبلاط الأموي.

من الواضح أن تعلم حسداى بن شبروط لعدد من اللغات قد أفاده كثيرًا فى دراسة الطب وعلوم الصيدلة، مما مكنه من أن يثبت مهارة فائقة حين أعاد اكتشاف "الترياق" أو ما يطلق عليه "أكسير الحياة"[4]، وهو نوع من أنواع الدواء استخدم فى شفاء العديد من الأمراض المختلفة الناتجة عن لدغات الحشرات والحيوانات السامة، وبهذا الاكتشاف

---

(1)Mark Kohen: op.cit,P.248

(٢) تكلم هذه اللغة المسلمون وغيرهم من الأسبان كلغة للحياة اليومية. أنظر: نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٧ هامش (١).

(٣) نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص ١٧.

(٤) عرف الترياق منذ القرن الأول قبل الميلاد، على يد الملك "مايثريد اتس ايوباتر" Mythridates Eupator، ثم أتقنه بعد ذلك طبيب الملك نيرون وهو رجل كريتي عرف باسم "أندروماك"، وصنع منه دواءً مكونًا من أحدى وستين مادة، ثم أخذ ينتج بشكل واسع فى الإمبراطورية الرومانية فى القرن الثاني الميلادي، غير أن معادلة تركيبه فقدت بمرور الزمن، مما جعل من الصعوبة على أحد تحضيره مرة أخرى. وقد ورد أن من بين المواد التي يركب منها هذا الدواء الأفيون، ولحم السحلية المحمر، وتوابل مختلفة. أنظر:
ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، شرح وتحقيق، نزار رضا (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٥م)، ج ٢، ص ٤٧.

CF:Del Rosal: op.cit,p.65.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص ١٨ هامش (٢).

ذاع صيته، حتى ضمه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى فريق أطباء وصيادلة بلاطه ما بين عام ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م وأوائل عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، وظل به حتى وافته المنية عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م[١].

وقد عرف عن حسداى بن شبروط إلى جانب مهارته الطبية، ذكائه الحاد وأسلوبه الرقيق فى التعامل مع الناس، وسعة أدبه وحيلته، مما دفع بالخليفة عبد الرحمن الناصر إلى أن يعينه كاتبًا له[٢]، ثم جعله مشرفًا على الخزانة العامة ورئيسًا للجمارك، وكانت مهمته تشتمل على جمع الرسوم المقررة على المراكب التي كانت تصل أو تغادر بلاد الأندلس، أو ربما قرطبة الحاضرة[٣].

كان للصفات السالفة الذكر أيضًا أهمية خاصة فى أن يجعله الخليفة عبد الرحمن الناصر المسئول عن مراسم بلاطه، وممثلاً شخصيًا عنه فى بعض المهام الدبلوماسية التي تحتاج إلى الحنكة والذكاء وحسن التصرف، كما سنرى بعد ذلك.

- جهود حسداى بن شبروط الدبلوماسية.

جاءت أولى مهام حسداى بن شبروط الدبلوماسية إلى شنير بن عيفريد صاحب برشلونة عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، ليعقد معه صلحًا بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر على الشروط التي أرادها ألا وهى:

- أن يتخلى شنير عن إمداد جميع أعداء الخليفة من المسيحيين.
- أن يحل المصاهرة التي كانت بينه وبين غرسية بن شانجة حاكم بنبلونة[٤]

---

(١) نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) كانت وظيفة الكاتب تلي وظيفة الوزير مباشرة. أنظر: نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص، ١٩ هامش (*).

(٣) ابن حيان: مصدر سابق، ص ٤٦٦.

CF:Mark Kohen: op.citp. 249.

نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص، ١٩، ٢٠؛ عطية القوصى: اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠١م)، ص١٣٦.

(٤) كان شنير قد زوج ابنته من غرسية بن شانجة، ففسخ عقد هذا الزواج طاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر. أنظر: نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٢١ هامش (٣).

- أن يقوم شنير بضم كل من يطمئن إليه ممن جاوره.

وفى مقابل شروط الصلح هذه يقوم الخليفة عبد الرحمن الناصر بحماية أراضى شنير، ومسالمة أهل بلاده وتأمين تجارتهم بأراضيه[١].

وعلى كل، فبعد أن أتم حسداى مهمته فى عقد الصلح للخليفة قام بمقابلة إبراهيم بن عبد الرحمن البجانى[٢]- قائد الأسطول- ليعلمه بالصلح الذي وقع مع شنير صاحب برشلونة وأعمالها، لكي يكف عن حربه، كما دعي حسداى بن شبروط وجهاء برشلونة إلى طاعة الخليفة، فأجابه جماعة من ملوكهم كان منهم أنجه[٣]. هذا الذي أرسل بعد ذلك وفدًا إلى قرطبة طالبًا تأمين تجار بلاده الداخلين لأراضى الخليفة، فوافق الأخير على طلبه، وأنفذ إلى نصر بن أحمد القائد بفرخشنيط أو بعرحشنيط وإلى عمال الجزائر الشرقية والمراسي الساحلية بأرض الأندلس بتأمين جميع التجار من بلد أنجه على دمائهم وأموالهم، وكل ما تضمنته سفنهم.. ولم يعد حسداى بن شبروط إزاء ذلك إلى حاضرة الخلافة إلا بعدما أحكم هذا كله[٤].

اشترك حسداى بن شبروط أيضًا فى مهمة دبلوماسية أخرى ذات فائدة كبيرة، حيث زادت إغارات المسلمين على قلعة قشتالة، وهى مقاطعة تابعة لليون، وسببت خسائر فادحة للمسيحيين، وكان طبيعيًا أن يكون رد فعل الملك أوردانيو ملك ليون الجديد، الهجوم على سواحل الأطلنطي التابعة لدولة الخلافة، هذا فى الثالث وقت الذي قاد فيه فرنان جونزاليس Fernan Gonzales حاكم قشتالة حملة على المسلمين بالقرب من قلعة سان استبان دى جوماز، وحقق فيها نصرًا عليهم، غير أن أوردانيو رأى بعد ذلك أنه من

(١) ابن حيان: المصدر السابق، ص ٤٥٤؛ نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) كان إبراهيم بن عبد الرحمن البجانى قائد أسطول الخليفة عبد الرحمن الناصر قد تحرك من المرية متجهًا شطر برشلونة، حيث أن المهام الدبلوماسية عادة كان يعضدها قوة عسكرية. نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٢٠ هامش (٣).

(٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص٤٥٤؛ نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٢٠.

(٤) ابن حيان: المصدر السابق، ص٤٥٤؛ نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٢١.

الحكمة عدم إزكاء الخلاف مع الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ لعلمه بمدى قدرته وتفوقه العسكري، لذا أرسل إليه طالبًا الهدنة، ولأن الخليفة كان يريد أن يؤمن خطوطه الخلفية ليستعد لمواجهة الفاطميين فى شمال إفريقية فقد وافق على الهدنة، ومن ثم أرسل حسداى بن شبروط ومعه محمد بن الحسين إلى بلاط ملك ليون لتحديد شروط تلك الهدنة[1].

وقد وفق حسداى ومحمد بن الحسين فى مهمتهما وعادا بمسودة الاتفاق على الهدنة التي وقع عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر، وفى هذا يقول ابن عذارى: "وفى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م، قدم محمد بن الجسين رسولاً من الناصر إلى الطاغية أردون ابن ردمير ملك جليقية، ومعه حسداى بن شبروط اليهودي بكتابه إلى الناصر راغبًا منه فى الصلح، فأسعفه الناصر فى ذلك على اختبار ولده الحكم، واشترط على الطاغية شروط، وانصرفت رسله بذلك"[2]. لكن سرعان ما انتهت هذه الهدنة بموت أوردانيو الثالث عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وتولى أخيه شانجة الأول Sancho I أو السمين (٣٤٥-٣٥٦هـ/ ٩٥٦-٩٦٦م) الذي ضرب بالهدنة عرض الحائط، غير أنه لم يهنأ بحكمه كثيرًا؛ بسبب تألب النبلاء عليه. ومن ثم فقد أقالوه عن عرشه، وولوا بدلاً عنه ابن عمه أوردانيو الرابع ابن أذفونش الرابع ملكًا على ليون[3]. وهنا وجد شانجة نفسه بلا

(1) Ashtor Eliyahu: "Korot hy-yahudim bisfarad ha- muslmet" vol.1 Orshalem,1966,also: an Eng. Trans: "The Jews of Moslem spain:, trans. from the Hebrew. Publication cociety of America, Philadelphia,1937,vol.2,1979,p.177.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٢٩-٣٠؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩؛ عبد الرحمن على الحجى: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية ١٣٨-٣٦٦هـ/ ٧٥٥-٩٧٦م دراسة تاريخية (الإمارات: المجتمع الثقافي، ٢٠٠٤م)، ١٠٧.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج ٢، ص ٢٢١؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩.

(٣) نجوى سليم مصطفى: نفس المرجع السابق، ص٣٠.

من هؤلاء النبلاء أيضًا فرناند كونثالث أمير قشتالة. أنظر: رينهرت دوزى: المسلمون فى الأندلس، ج٢، ص ٥٢؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

مملكة ولا عرش ففر هاربًا عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٨م إلى بنبلونة حيث جدته الملكة طوطة أو تودا ملكة نافار التي اتجهت بناظريها للبحث عن حليف قوى يساعد حفيذها على استعاده عرشه وعافيته، ولم تجد أمامها سوى عدوها اللدود الخليفة عبد الرحمن الناصر، فأرسلت إليه رسلها طمعًا بأن يبعث إليها أمهر أطباءه لعلاج حفيدها من السمنة المفرطة التي ألمت به، والتي نشأت من علة جثمانية كان لابد لها من أن تزول لو توفر لها الطبيب الماهر، وكذلك مساعدته من خلال قوة عسكرية لاستعادة عرشه المسلوب[١]، وهنا ظهر دور رجل البلاط والخليفة حسداى بن شبروط الذي جمع فى شخصه العديد من الصفات التي أهلته لمثل هذه المهمة، من حيث إجادته التامة للغة اللاتينية أو كونه طبيبًا بارعًا وسياسيًا فطنًا[٢]، وما كاد يبلغ بنبلونة حتى أكتسب ثقة شانجة الأول، لما أخذه على نفسه من إبراء علته، واستعاده عرشه المغتصب مقابل عدة شروط وهى:

- أن يتخلى شانجة للخليفة عبد الرحمن الناصر عن عشرة حصون.
- أن يحضر شانجة مع جدته الملكة طوطة وخاله غرسية إلى قرطبة، وكان فى هذا رغبة من الخليفة لإرضاء كبريائه، ورغبة منه أيضًا فى أن يُرى شعبه مشهداً لم يسبق أن أبصر مثيله، حين يركع ثلاثة من الملوك المسيحيين متوسلين إليه ليعينهم بجيوشه[٣].

ويحق للمرء أن يتوقع الرفض من قبل الملكة طوطة المتكبرة، إذ الواقع أن رحلتها إلى قرطبة كانت أكثر إذلالاً من أن تكون مصافة مع عدوها القديم، لذلك كان هذا الجانب من مهمة حسداى بن شبروط أكثر جوانب سفارته دقة وحساسية، إذ تطلب حنكة ومهارة كبيرة، غير أن حسداى أثبت ما عرف عنه من أنه أمهر رجالات عصره، إذ استطاع التغلب على ملكة نفار المتكبرة بسحر حديثه ونضج تفكيره وسعة دهائه، حتى أذعنت لرغبته بالذهاب إلى قرطبة عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م فى صحبة عدد كبير من

---

(١) رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٢؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٧٠.

(٢) رينهرت دوزى: نفس المرجع السابق، ج٢، ص ٥٢، ٥٣؛ حسين مؤنس: معالم، ص ٣٦٩؛ عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس (القاهرة: المطبعة الإسلامية الحديثة، ١٩٩٣م)، ص ٤٨.

(٣) رينهرت دوزى: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣.

القساوسة والنبلاء[1]. وهناك تم التوقيع على ما تم الاتفاق عليه، وتمت معالجة شانجة من سمنته[2]، ثم هاجمت الجيوش العربية الإسلامية مع جيوش نافار مملكتي ليون وقشتالة عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، وبعد عام واحد من هذا التاريخ عاد شانجة إلى كرسي عرشه[3].

وقد عد هذا نصراً عظيمًا بين العامة، كما علت مكانة حسداى بن شبروط تلك التي لم يبلغها لولا سماحة الإسلام ورعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر له. أما عن يهود الأندلس فقد اعتبروا أن ما حققه حسداى شيئًا عظيمًا، حتى أنهم انظموا شعراً حماسيًا فيه على يد دوناش بن لابرات، ومناحم بن صاروخ[4]، خاصة وأن الخليفة عبد الرحمن

---

(١) رينهرت دوزى: نفس المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣.

CF: Mark Kohen: op.cit, p.249.

نجوى سليم مصطفى: مرجع سابق، ص٣١.

(٢) أحتوى علاج شانجة على بعض الأعشاب والتمارين الرياضية، وطبقًا لنصيحة حسداى بن شبروط فى العلاج فقد مشى شانجة الأول على قدميه كل الطريق من بنبلونة حتى قرطبة. أنظر: نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٣ هامش (١).

(3) Mark Kohen: op.cit, p.249.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٣.

(٤) من هذا الشعر الذي كتبه دوناش بن لابرات: ألف أغنية مدح على شرف أميرنا، رئيس الأكاديمية وهو محاط بالعظمة والجلال

انتزع عشرة حصون من المتصلفين وضع الدمار بين الشوك والحسك
قد أحضر ابن راميرو والأمراء والقساوسة مولاي الفارس والملك أحضرهم كالرهائن
وجرجر الساذجة تودا العجوز تماما مثل رجل
وبقوة حكمته وبجميع مكره وقوة سيوفه . . . .

عن ذلك أنظر: Del Rosal: op.cit,pp. 71-72.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٢ هامش (٤).

قيل عنه أيضًا:

طأطئ الهام أيها الجبال فهذا شيخ يهوذا حيالك ولتمتلئ جميع الأفواه بالضحك والفرحة
ولتغن الأرض الجدباء ولتبتسم الصحراء ولتزدهر الورود . . فقد جاء شيخ الجميع . .
لقد جاء وفى ركابه الطرب والغناء
لقد كانت المدينة العظيمة هنا – وقت غياب حسداى عنها – تعلو مبانيها الرائحة الكآبة ويلفها كلها الظلام
أما فقراؤها الذين لم تعد عيونهم تكتحل بمرآة الوضاء كالنجوم . . . فقد علتهم غبرة . .

الناصر أخذ ينظر إليه على أنه رئيس الجماعة اليهودية فى الأندلس ، وقد أطلق عليه لقب ناسي Nasi، وقد مكنه هذا من يولى جل عنايته لجماعة اليهود بالأندلس، فنال الإعجاب والتعظيم منهم حتى أنهم لقبوه بالملك والأمير كما جاء فى أشعارهم(١).

لعب حسداى بن شبروط كذلك دوراً دبلوماسيًا مهمًا، خاصة أثناء استقباله للسفارة الألمانية التي بعث بها الإمبراطور الألماني أوتو الأول Otto I (٣٢٤-٣٦٢هـ/ ٩٣٦-٩٧٣م) إلى بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر عام ٣٤١هـ/ ٩٥٣م، يطلب منه فيها كف إغارات مسلمي إمارة فراكسنتيوم Fraxinetum أو إمارة جبل القلال(٢).

واستبد بنا المتجبرون وأخذوا فى بيعنا وشرائنا كما لو كنا عبيداً
وتلمظوا لازدياد ثرواتنا وزأروا زئير الليوث
فاكتنفنا الفزع وتملكنا الرعب لأن المدافع عنا لم يكن موجوداً
لقد وهبنا الله إياه زعيمًا وقربه من الملك مكانًا عليًا
فسماه بالأمير ورفع منزلته على كثيرين غيره
فهو إن سار لم يجرؤ أحد على فتح فمه
وقد آمن ضراوة خنازير الغابات والمدن بفضل لسانه وحده
لا اعتماداً على الحراب والسيف
أنظر : رينهرت دوزى : نفس المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(1) Del Rosal: op.cit,p.72.

نجوى سليم مصطفى : المرجع السابق ، ص٣٣.

(٢) هي إمارة أقيمت فى جبال الألب أسسها بعض المسلمين الأندلسيين المجاهدين سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، ومنها سيطروا على معظم الممرات التي تربط إيطاليا ببقية قارة أوربا ، حيث أغاروا على كناطق كثيرة فى شمال إيطاليا وجنوب فرنسا وألمانيا، وظلوا طوال خمس وثمانين عامًا يشكلون قلقًا شديداً للقوى الأوربية المجاورة لهم، حتى كسرت شوكتهم عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م على يد محاربي فرنسا من برجنديا وبروفانس ، والذين شنوا عليهم حربًا ضروس استمرت زهاء ثلاث سنوات، شُتت خلالها هؤلاء المسلمين وقتل معظمهم، ومن بقى منهم على قيد الحياة تعرض للاسترقاق واجبروا على التنصر . أنظر :

Liudprand of Cremona; The works of cremona (ed) by: GG. Coulton and Eileen Power, Eng trans by: F.A. Wright (London, 1930),pp.33-189.

ابن حوقل : صورة الأرض (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م)، ص ١٨٥ .

CF:Reinaud (M): Invasion des sarazins ex frace, librairie orient (Paris,1964),pp.158-209.

شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص ٢٠٧-٣٠٧، ٢٦٠-٣٢٦؛ على بن محمد عودة الغامدى: "أضواء جديدة على السفرة الثانية لملك السكسون

على اعتبار أنها إمارة تابعة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وفى هذا يقول ابن عذارى: "وفى سنة ٣٤٢هـ قدمت رُسل هوتو ملك الصقالبة على الناصر"[١]. وقد استوجب ذلك ردًا من الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي نفى مسئوليته عن هذه الإمارة، ويبدو أن هذه الرسالة تضمنت إلى جانب ذلك دعوة الإمبراطور الألماني إلى اعتناق الإسلام، وهذا ما اعتبره البعض تجديفًا وسبابًا ضد المسيحية والمسيح[٢]. فما كان من أوتو إلا أن كلف سنة ٣٤٤هـ/ ٣٥٦م رئيس أحد الأديرة من الرهبان ويدعى يوحنا الجورزى John of Gorze بحمل رسالته إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، والتي من المحتمل أنها كانت تحوى دفاعًا عن النصرانية وسجب الإسلام ونبيه، وعندما وصلت هذه السفارة إلى قرطبة استقبلت بحفاوة بالغة من قبل الوزير اليهودي حسداى بن شبروط والقس المستعرب ريثموندو Recemundo أسقف البيرة، المعروف فى المصادر العربية الأندلسية باسم ربيع بن زيد[٣]، واللذان عرفا مضمون رسالة الإمبراطور الألماني أوتو الأول وما بها من سباب للإسلام، وأخبرا الخليفة عبد الرحمن الناصر، فما كان منه أن أجل مقابلة السفارة، لأنه إن أستقبلها وقرأ الرسالة وما بداخلها من إساءة للإسلام، فإن هذا يعد إهانة بالغة، قد تحمله على قتل السفير الألماني، فيعتبر وقتها فى نظر المسيحيين شهيداً، وهو ما لم يكن الخليفة عبد الرحمن الناصر يريده، لهذا أرجأ مقابلة مبعوث الإمبراطور لمدة وصلت إلى ثلاث سنوات، قام خلالها الوزير اليهودي حسداى بن شبروط بجهد دبلوماسي متميز،

أوتو الأول إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس" بحث منشور بالندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة حصا (١٧) تاريخ الوطن العربي عبر العصور الوفود والسفارات (القاهرة: ٢٠٠٩م)، ص ٤١٥-٤٤٦.

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢١٨.

(2) Reinaud (M): op.cit,p.174

; Danel (Norman): The Arabs and Meadieval of Europe (London,1975),p.65.

على بن محمد عودة الغامدى: أضواء جديدة، ص ٤١٧.

(3) Danel (Norman): The Arabs ,pp.64-68

; Reinaud (M): op.cit,p. 187; Ashtor (E): the Jews of moslem spain,trans. A.Klein and J.Klein,vol.1 (Philadelphia,1973),p.421.

على بن محمد عودة الغامدى: أضواء جديدة، ص ٤١٧-٤١٨.

حيث أقنع السفير الألماني بالعدول عن رسالته، والإرسال فى طلب رسالة أخرى من قبل الإمبراطور الألماني تمحى ما تضمنته الرسالة الأولى، وقد أتم حسداى مهمته بنجاح، حتى أن السفير الألماني امتدحه بالقول: "إنه لم ير أحداً أعقل وأزكى من هذا اليهودي حسداى"[1]. أما عن علاقة حسداى بن شبروط بمملكة الخزر[2]، فلم يرد أنه

(١) للمزيد أنظر:

Danel (Norman): The Arabs ,pp.67-69

; Reinaud (M): op.cit,p. 193; Ashtor (E): the Jews,p.421-422.

على بن محمد عودة الغامدى: أضواء جديدة، ص ٤١٧ـ٤٢٤؛ نجوى سليم مصطفى: مرجع سابق، ص ٢٨ـ٢٩.

(٢) الخزر Khazars: كلمة مشتقة من الفعل التركي "قز" وهو يعني يتجول أو يبتدئ، وتأتي هنا كلمة خزر بمعنى البداة، وهم أمة تركية الأصل أخذت اسمها من خزر بن يافث بن نوح عليه السلام، وقد نزح الخزر من أواسط آسيا، وبالتحديد من منطقة التركستان بعد الضغط الصيني عليهم، فاتجهوا إلى ما عرف نسبة إليهم باسم خزريا أو إقليم الخزر بين المجرى الأدنى لنهر الفولجا Volga، والمنحدرات الشمالية للقوقاز، وحول بحر أزوف، وغرباً حتى أطراف أوربا الشرقية وسواحل البحر الأسود، وظلوا بعد استقرارهم خاضعين لإمبراطورية الهون Huns حتى وفاة زعيمهم آتيلا Atila سنه ٤٥٣م، وبعد انهيار الهون حارب الخزر القبائل القوقازية حتى أضحوا في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي السلطة المهيمنة على قبائل شمال القوقاز. عنهم أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated with introduction and Commentary by: Cyril Magno and Roger Scott (Oxford, 1997), pp: 446-447, 520-521, 523 ff.

; Cedrenus(G.); "Historiarum Compendium" in : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1838) Vol.1, p. 721.

وأنظر أيضًا:

المروزى: أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، نشره مع ترجمة وتعليق بالإنجليزية: مينورسكى (لندن: ١٩٤٢م)، ص١٥؛ وكذلك: ابن رسته: كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣م)، مج ٧، ص ١٤١؛ ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنه ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، حققها وعلق عليها وقدم لها، سامي الدهان (بيروت: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م)، ص ١٦٩ وما يليها؛ الإدريسي: كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م)، مج٢، ص ٩١٨.

CF : Moḥammed (Tarek. M.); "The Turkish settlement in Caucasus and steppes Constantine VII's Evidence" Journal of medieval and Islamic history, Vol.2 Issued by : seminar of medieval and

بعث سفيرًا إلى هذه المملكة، ولكن جاء أنه أبدى اهتمامًا بمعرفة أحوال اليهود بها، خاصة وأنها مملكة يهودية، وقد أرسل رسالة إلى يوسف ملك الخزر بعد سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م- كتبها له كاتبه مناحم بن يعقوب بن صاروق أو صاروف أو شاروك- قال فيها: "أنا لم أتوان أبدًا عن سؤال القادمين الذين يحضرون إلينا الهدايا عن ما يعرفونه من أخبار الأخوة، والذين نجوا منهم من النفي (أي بعد دخول الرومان أورشليم)، وفيما لو كانوا قد سمعوا شيئًا عن تحرير الباقين"(١).

هذا وقد علق أحد المؤرخين بأن لحسداى مراسلات مع يوسف ملك الخزر وقد تمت عن طريق العالم اليهودي يعقوب بن اليعازار، وقد احتوت هذه المراسلات على عدد من الأسئلة عن دولة الخزر، وشعبها، ونظام حكومتها، وقواتها المسلحة، والسؤال عن أية قبيلة (سبط) من القبائل الأثنتى عشرة ينتمي الملك يوسف، وهذا فيما يبدو يوحى بأن حسداى ظن أن اليهود الخزر هم أصلا من فلسطين - شأنهم فى ذلك شأن اليهود الأسبان - بل وربما يمثلون واحدة من القبائل الأسباط الضائعة(٢).

Islamic History Ain-shams university (Cairo, 2002) pp.45-59. ; The Columbia Encyclopedia, Vol.I (New York, 1950) p. 1052.; Dictionnaire Universel d'histoire et de Geographie (Paris, 1880), p.977.

وأنظر أيضًا: دنلوب. د٠م: تاريخ يهود الخزر، نقله إلى العربية وقدم له، سهيل زكار (دمشق: دار حسان، ١٩٩٠م)، ط٢ ص ١٩ وما يليها؛ آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة، أحمد نجيب هاشم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م)، ص ٧ وما بعدها؛ خالد خلف عبد العزيز: السياسة الخارجية لمملكة الخزر منذ بداية القرن التاسع وحتى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ - كلية الآداب- جامعة سوهاج ٢٠٠٢م، ص ١ وما يليها؛ زبيدة محمد عطا: زبيدة محمد عطا، الترك فى العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون (القاهرة: ١٩٨٥م)، ص ٧- ٨ ، ١٣؛ محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م)، ص ٣٨ وما يليها؛ أحمد توني عبد اللطيف: "الواقع السياسي والاجتماعي لدولة يهود الخزر وعلاقتهم بالخلافة الإسلامية (٢٢ - ٣٥٤هـ/ ٦٤٢ - ٩٦٥م)، بحث منشور بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية كلية الآداب جامعة المنيا، عدد ٥٢ أبريل ٢٠٠٤ م، ص ٧٢٧ - ٨٤٨.

(1) Del Rosal: op.cit,p.143.

آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشرة، ص ٧١-٧٢؛ نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٤-٣٥.

(٢) آرثر كيستلر: المرجع السابق، ص ٦٩-٧٣؛ عطية القوصي: اليهود، ص ١٣٩. أما عن هذه الرسائل المتبادلة بين حسداى بن شبروط والملك يوسف الخزرى والتي أطلق عليها رسائل الخزر. أنظر: ملحق رقم(٢).

أما عن أخبار اتصالات حسداى بن شبروط باليهود فى جنوب إيطاليا فقد ورد بأن هناك خطابًا أرسله يهود إيطاليا إلى حسداى ردًا على خطاب له كان قد أرسله لهم، ويعتذرون عن تأخرهم فى الرد بسبب ما عانوه من اضطهاد، وتضمنت هذه الرسالة قائمة بالربانيين أو أحبار اليهود ومعلمي التوراة الذين نجوا من الاضطهاد ـ على يد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الأول ليكابيانونس Romanus I Licapynous(٩١٩ـ٩٤٤م) الذي أصدر مرسومًا أجبر فيه اليهود على التحول إلى الديانة المسيحية أو الطرد من البلاد ـ وقد تبين من هذا أن ثمة اتصالات كانت بين حسداى وبين يهود جنوب إيطاليا(١). هذا بالإضافة إلى يهود فرنسا(٢).

ـ جهود حسداى بن شبروط العلمية.

بلغ الطب فى بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر مبلغا عظيمًا، حيث ضم البلاط الكثير من الأطباء المسلمين وكذلك المسيحيين(٣)، وأنضم إليهم اليهودي حسداى بن شبروط بعد اكتشافه للترياق، وقد تقدم الطب فى عصر الخلافة حتى أنه أقيمت خزانة بالقصر للكتب الطبية كان يتولاها أحمد بن يوسف الحرانى، ورتب لها الخليفة عبد الرحمن الناصر أثنى عشر صبيًا من الصقالبة يطبخون فيها الأشربة – والأدوية – والمعجونات (أي المراهم)، وكان يعطى منها للمحتاجين من المساكين.

وفى وسط هذه الأجواء العلمية برع حسداى بن شبروط حتى أضحى أمهر أطباء عصره، والذي قام بدور كبير فى شفاء حفيد الملكة طوطة، أضف إلى ذلك ما أسنده إليه

---

(١) للمزيد عن ذلك أنظر:

Del Rosal: op.cit,p.74.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٥ـ٣٧.

(2) Del Rosal: op.cit,p.75.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٣٧ـ٣٩.

(٢) من هؤلاء الأطباء يحيى ابن اسحق النصراني الذي كان من أوائل أطباء الخليفة عبد الرحمن الناصر والمقربين له وصاحب الأبرشيم، وأبو بكر سليمان بن باج، وابن أم البنين، وأبو عمر بن بريق، وأصبغ بن يحيى، ومحمد بن تمليخ، وأبو وليد محمد الكتاني، وأحمد وعمر ابنا يوسف الحرانى، وأبو موسى هارون الأشونى. عنهم أنظر: ابن حيان: مصدر سابق، ص ١١٦؛ نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٨٤ هامش (٣).

الخليفة عبد الرحمن الناصر من مهمة القيام بتحديد أنواع النبات الموجودة فى كتاب ديوسقوريدوس عن فن تراكيب الأدوية (الأقرباذينات) فى اليونان وهو كتاب مصور بالنمنمات بالتصوير الرومي العجيب[١]، حيث أنه قد وصلت الخليفة عبد الرحمن الناصر مجموعة كتب علمية يونانية، جاء معظمها فى علم الطب أرسلها له الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني عام ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م[٢]، وهذا ما يوضحه ابن عذارى بقوله: "وفى سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م، كان قدوم رسل ملك الروم الأكبر صاحب القسطنطينية على الناصر، راغبًا منه إيقاع الموالفة واتصال المكتبة، فتأهب الناصر لورودهم عليه، وأمر بتلقيهم فى الجيش والعدة، وجلس لهم الناصر الجلوس المشهور الذي ما تهيأ مثله لملك قبله فى جلالة الشأن، وعزة السلطان، ودفعوا كتاب ملكهم فى رَق مصبوغ سماءى مكتوب بالذهب، وكان على الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح (عليه السلام)، وعلى الأخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده"[٣]، وبصحبة راهب يدعى نيقولا Nicola لكي يتولى أمر شرحها؛ لأنه لم يكن هناك فى قرطبة من يعرف اليونانية، فأوعز الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى حسداى بن شبروط بأن يعكف مع نيقولا الراهب على دراسة هذه الأعمال اليونانية وكشف أسرارها، حيث تمكن حسداى من أن يترجم ستمائة من أسماء النباتات والزيوت والمعادن إلى اللغة العربية، وهى المواد الأولية فى كتاب ديوسقوريدوس[٤]، إذ أن الجزء الأكبر من هذه النباتات كان قد ترجمه الراهب اليوناني ستيفانوس Stephanous[٥].

(١) نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٨٥.

(٢) المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٩٠.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢١٥.

(٤) عطية القوصى: اليهود، ص ١٣٧؛ نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٨٥.

(٥) عاون ستيفانوس Stephanous فى هذه الترجمة كُل من محمد النباتي، البسباسى، وأبو عثمان الجزار الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم، وأبو عبد الله الصقلي الذي كان عارفًا باليونانية ويتحدث بها، وله إلمام كبير بتراكيب العقاقير. أنظر: نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٨٥.

أضف إلى ذلك أن حسداى بن شبروط كان له أيضًا اهتمامًا بعلم الفلك، حيث حصل على رسالة علمية فى الفلك عن المدار السماوي – أحد الأجرام الشمسية – من إحدى المدارس التي كانت على علاقة بقرطبة، والتي حددت مسار هذا النجم باستخدام آله مناسبة لذلك، وكانت تسمى الكورة أو الدائرة(١).

أهتم حسداى بن شبروط أيضًا بالترجمة، فمن أعماله إلى جانب ما ذكرناه، إسناده إلى أحد تلاميذه ويعرف بمناحم بن صاروخ أو صاروف أو صاروق ـ الذي ولد بطرطوشة وهاجر بعد ذلك إلى قرطبة، وحظي بعناية حسداى بن شبروط ـ مهمة تجميع قاموس فى العبرية، والذي أطلق عليه اسم المحبريت أو الوريقة(٢). وقد اجتمع لدى حسداى العديد من العلماء والدارسين أمثال العالم الشاعر اليهودي دوناش بن لبرات، والعالم الفلكي اليهودي اسحق بن سليمان الإسرائيلي الذي نبغ أيضًا فى الطب والفلسفة وعمر ما يزيد عن المائة عام(٣).

هذا وقد تقدمت الدراسة التلمودية فى قرطبة على عهد حسداى وبفضل جهوده، وجهود صديقه الرابي موسى بن حنوك، حتى أن تفسيراته التلمودية الأندلسية ظل معمولاً بها بين يهود فرنسا طوال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين(٤). وهكذا ظل نشاط حسداى بن شبروط العلمي والديني والسياسي قائمًا طوال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، حتى وافته المنية فى بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر تقريبًا عام٣٦٠هـ/ ٩٧٠م(٥).

---

(1) Del Rosal: op.cit,p.73.

نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٨٦.

(٢) نجوى سليم مصطفى: المرجع السابق، ص٩٣.

(٣) عطية القوصى: اليهود، ص ١٣٧.

(٤) عطية القوصى: اليهود، ص ١٣٧ـ ١٣٩.

(٥) نفسه، ص ١٣٩.

الدور العسكري للقائد غالب الناصرى أعظم فرسان الأندلس
٣٣٢-٣٧١هـ/ ٩٤٣-٩٨١م

. غالب الناصرى وجيش بني أمية.

تأتي القيادة على رأس المناصب العسكرية فى تنظيمات الجيوش، وهى غاية فى الأهمية لتحقيق النصر، لذا فقد أولاها أمراء وخلفاء بني أمية اهتمامًا خاصًا، فكانوا فى كثير من الأحيان يتولونها بأنفسهم، لما لهذا من تأثير واضح على نفوس الجند.

وقد ساهم معظم الأمراء والخلفاء فى الأندلس بقيادة الحملات العسكرية سواء للقضاء على الفتن الداخلية أم لمواجهة الأخطار الخارجية المتمثلة فى الدويلات والممالك الإسبانية في الشمال. وفى الحالات التي يتعذر فيها خروج الأمير أو الخليفة بقيادة الحملة كان يرسل أحد أبنائه لينوب عنه في ذلك، ولكن يعين معه قائدًا مجربًا يكون هو المسئول عن الحملة، وقد استمر هذا الإجراء إلى أواخر عهد الأمير عبد الله بن محمد مع بعض الاستثناءات.

وكان من بين هؤلاء القادة العسكريين الذين كان لهم دور ملموس فى بلاد الأندلس على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر القائد غالب الناصرى أحد موالى بني أمية، والذي ذاع صيته كافة الأرجاء؛ نظرًا لأعماله العسكرية سواء فى محاربة نصارى الشمال أو النورمان[1]، أو أعداء الخلافة الأموية ببلاد المغرب.

---

(١) النورمان Normans : هم شعوب رعوية تنتمي لغرب أوربا، وتعرف في شبه جزيرة اسكندنافية باسم الفايكنج Vikings، وفي روسيا باسم الورنك Varangians، وكان أول اتصال للنورمان مع بيزنطة في الفترة من ٩٩٩ حتى ١٠١٧م، عندما استولوا على جنوب إيطاليا، وقد خدموا في البداية كجند مرتزقة في الجيش البيزنطي أو جيوش الأمراء اللومبارديين، ونجحوا في تكوين عدة إمارات مستقلة، حتى نجح روجر الثاني RogarII في توحيدها في الربع الأول من القرن الحادي عشر الميلادي في مملكة واحدة. عنهم أنظر:
Packard (Sidny. R.); "William I and the Norman conquest" Speculum, vol.42 (America, 1967),pp.353-357 ;The Bromberg (Ericl); "Wales and the Mediaeval Slave trade"

ومن الجدير بالذكر القول بإن هذا النبوغ وهذه العبقرية العسكرية والتي تمثلت فى فارس الأندلس غالب الناصرى، لم تكن لتظهر إلا فى دولة بحجم دولة الخلافة الأموية بالأندلس خاصة فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ـ وولده ـ هذا الذي لم يتوان منذ لحظة تولية الحكم فى تدعيم أركان دولته، والعمل على استقرار ملكه، إذ ما كاد يتم له ذلك داخليًا حتى اتجه خارجيًا صوب الممالك المسيحية بشمال إسبانيا، وكان خطر أردون الثاني ملك ليون (٩١٤ ـ ٩٢٤م) وشانجة الأول ملك "نبرة" قد ازداد زيادة ملحوظة منذ اعتلاء الناصر للإمارة، حيث حشد أردون الثاني جيوشه عام ٩١٤م، وقصد مدينة "يابرة" فدخلها عنوة، وقتل عددًا كبيرًا من سكانها، واستشهد فى هذه الموقعة حاكم المدينة مروان بن عبد الملك.

وفى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م التحمت جيوش المسلمين بقيادة أحمد بن محمد بن أبى عبدة مع جيوش القشتاليين فى واقعة قرب "شنت اشتبن" انهزم فيها المسلمون واستشهد القائد(١).

Speculum, Vol.17(America, 1942) pp. 263-269. ;Cohat (yves). Le viking Rois des mers (paris, 1987) pp. 12ff.

; Davidson (H.R.E); The Viking; Road to Byzantium (london, 1976) pp. 17ff. ;Chalandon (F.); "The conquest of south italy and sicily by the Norman" in : The Cambridge medieval history, vol.5 (ed) by : J.R. Tanner (Cambridge, 1968) pp. 167-183; Duchaillu (paul,B.); The Viking age the early History, 2 vols (London, 1889)1, pp. 10ff. ; Chalandon (F.); " The Norman kingdom of sicily" in : The Cambridge Medieval History, vol. 5, pp.184-207.

ميخائيل أمارى: تاريخ مسلمي صقلية، إعداد: محب سعد إبراهيم (فلورنسا لي مونيية، ٢٠٠٣م) المجلد الثاني، ص ٣٤٩ وما يليها؛ محمد محمد مرسي الشيخ: " الفتح النورماني لإنجلترا: ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى"، بحث بندوة التاريخ الإسلامي والوسيط (القاهرة: ١٩٨٣م)، مج ٢ ص ٢٤٣ وما يليها؛ وفاء عبد الله مزروع: "الفيكنج وإغاراتهم على الإمبراطورية الكارولنجية"، بحث منشور بحولية التاريخ الإسلامي والوسيط قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس (القاهرة: ٢٠٠٣م)، مج ٣، ص ٢٨٠ ـ ٢٩٢.

(١) ابن عذارى: مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥٥؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص ٢٨٩.

وعندئذ أحس الناصر بتطور الموقف إلى جانب نصارى الشمال فقام بنفسه سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م على رأس جيش كبير واتجه إلى جليقية نبرة، فهدم حصن قاشتروموش، وما جاوره من حصون، وكان أردون الثاني ملك ليون وشانجة ملك نبرة قد استنجدا بملوك المسيحية، فلما التقت الجيوش انتصر المسلمون انتصاراً حاسماً[1].

ولما مات أردون الثاني سنة ٩٢٤م خلفه أخوه فلويرة الثاني (٩٢٤ - ٩٢٥م) الذي مات بعد عام واحد، فولى مكانه أخوه أذفونش الرابع المعروف في المدونات الإسبانية باسم ألفونسو الراهب (٩٢٥ - ٩٣١م) الذي تنازل لأخيه ردميرة الثاني (٩٣١ - ٩٥١م)، وكان ردميرة ملكاً شجاعاً شديد الصلابة استمرت الحرب دائرة بينه وبين عبد الرحمن الناصر عهداً طويلاً[2]، وكانت أهم الوقائع الشهيرة التي وقعت بينهما موقعة "الخندق" التي انهزم فيها عبد الرحمن الناصر هزيمة شنعاء سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م أو ٩٣٩م قرب مدينة شنت مانكش Simancas أمام جيوش كل من ليون ونبرة[3]، وحدث في هذه المعركة أن أقام عبد الرحمن الناصر على رأس الجيش قائداً من مواليه من الصقالبة يسمى "نجدة الحيرى" فغضب القواد الأندلسيون ورجالهم، وتخلوا عن عبد الرحمن الناصر فلحقت به الهزيمة في ١١ شوال ٣٢٧هـ/ أول أغسطس ٩٣٩م، وتراجع المسلمون فتساقط الكثير منهم في خندق كان النصارى قد حفروه، ولذلك تسمى هذه المعركة "بمعركة الخندق"[4]، والتي علق عليها أحد المؤرخين بالقول: "دارت معركة الخندق بضعة أيام، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها في ١١ شوال ٣٢٧هـ/ أول أغسطس ٩٣٩م عند مدينة شنت مانقش (سيمانقاس Simancas)، وقد سميت باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى يحصر عنده قوات العدو الهاربة في حالة الهزيمة، وكان عبد الرحمن قد أحتفل بالاستعداد للمعركة احتفالا ضخماً، وحشد لها نحو ١٢٠ ألفاً جندي، وسماها لهذا

(١) السيد عبد العزيز سالم: نفس المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٢) عن ذلك أنظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٣) حسين مؤنس: نفس المرجع السابق، ص ٣٦٧؛ السيد عبد العزيز سالم: نفس المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٤) ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٢ هامش (٢).

" غزوة القدرة " ؛ لأنه عول على أن يجعلها قاضية على ردمير الثاني Ramiro II ملك ليون، ولكن معظم جيش المسلمين كان من المتطوعة والقوات غير النظامية، ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين وصقالبة عبد الرحمن، ولهذا فعندما شدت قوات ليون على المسلمين في اليوم الأخير للمعركة تراجعوا وتخاذل بعضهم وولوا الأدبار، حتى إذا وصلوا إلى الخندق تساقطوا فيه، وقتلوا بالألوف، وأسرع عبد الرحمن ناجيًا بنفسه في فل الجيش، وتلك هي المعركة الوحيدة التي خسرها عبد الرحمن الناصر، وكانت أخر غزوة غزاها بنفسه "[١].

وقد بالغ مؤرخو النصارى في تهويل أهمية ذلك النصر، مع أنه لم يؤثر كثيراً في قوى الخليفة عبد الرحمن الناصر[٢]، الذي كف بعد ذلك عن قيادة الحملات، إذ أن السن قد علت به، وبلغ من العمر آنذاك الخمسين سنة[٣]. وقد استعاد ردميرة الثاني معظم الحصون التي كان الخليفة عبد الرحمن الناصر استولى عليها في وادي نهر "تورمس"، وقد اجتهد الأخير في فك أسر من وقع بيد النصارى من قواده مثل أبي يحيى محمد بن هاشم صاحب سرقسطة، الذي سيصبح بعد ذلك من أكبر رجال الخليفة عبد الرحمن، بعدها قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بتحصين ثغوره، وأختار أحسن قواده لتولى الأمور في شمال الأندلس، فسكنت الأوضاع، ومال ردميرة الثاني إلى عقد صلح دائم مع الخليفة عبد الرحمن، الذي ولى على الثغر الأوسط قائده أحمد بن يعلى، ووجهه للإغارة على بلاد ليون[٤]. كما دفع أيضًا بحملة عسكرية في سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م تحت قيادة أحمد بن محمد بن إلياس على جليقية، وعقب ذلك نجد الخليفة عبد الرحمن ينقل قاعدة الثغر الأعلى إلى مدينة سالم، بعد أن كانت في مدينة طليطلة، وولى عليها قائده غالب بن عبد الرحمن الناصرى[٥].

(١) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٢هامش (٢).
(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٨.
(٣) ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣هامش (٢).
(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٨.
(٥) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

- دور غالب الناصرى فى مواجهة نصارى شمال الأندلس.

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم القائد غالب الناصرى يعلو فى الأفق، إذ أن الخليفة عبد الرحمن الناصر، وبعد الهزيمة التي منها بها في موقعة الخندق لم يعد يباشر – وكما سبق القول- الغزو بنفسه، وأخذ يحطاط في حروبه[1]، وبدأ يوكل الأمر إلى قواده مثل غالب الناصرى الذي جعل من مدينة سالم قاعدة لأعماله العسكرية في شمال الأندلس، وقد تمكن خلالها من استعادة كل المواقع الإسلامية التي كان ردمير الثاني قد استولى عليها. أضف إلى ذلك أن القائد غالب الناصرى تمكن فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م من قيادة حملة عاثت فى أراضى شلمنقة ووصلت إلى بلدة "لك" عاصمة جليقية[2].

وفى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، كان ردمير الثاني قد توفى وخلفه على الحكم ابنه أردنيو الثالث، والذي لم يكن من طراز أبيه، فحاول أن يثبت مركزه بالمصاهرات مع ملوك إسبانيا النصرانية مثل غرسية سانشو الأول، وفرناندو جونثالث كونت قشتالة، تلك التي أشتد عودها فى ذلك الحين، وقامت فيما يسمى بقشتالة الجديدة فى الحوض الأوسط لنهر "دويرو"، من سوء حظ ملك ليون أن اختلف عليه زملاؤه من ملوك إسبانيا النصرانية، ودخل معهم فى حروب، وهنا انتهز قواد الخليفة عبد الرحمن الناصر الفرصة لكي يغيروا على بلاد مملكة ليون، حيث نجد القائد غالب الناصرى ومعه أحمد بن يعلى يقومان فى سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م بعدة حملات يوغلان فيها فى أراضى ليون حتى وصلوا إلى جليقية، بل وتمكنوا فى ربيع الأول سنة ٣٤٤هـ/ يوليو ٩٥٥م من إنزال هزيمة قاسية بقوات أردنيو الثالث، وهلك فيها من رجاله نحو عشرة آلاف[3]، وقد حاول أردنيو أن يعوض تلك الخسارة بالإغارة على الإشبونة، واتجه صهره فرناندو جونثالث إلى مهاجمة حصن غرماج، إلا أنه اضطر أخر الأمر إلى طلب الهدنة من الخليفة عبد الرحمن الناصر تنازل له فيها عن عدد من الحصون، وتعهد بعدم العدوان على بلاد

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٢٨٩.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٣) المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٩.

المسلمين[1]. قام أيضًا القائد غالب الناصرى بعد ذلك بهجمة أخرى في سنة ٣٤٦هـ/ ٩٦٧م على غرسية بن شانجة ففتح الحصون وخرب القرى، ومن ثم عاد ظافرًا[2].

وأياما يكن من أمر فإن النشاط والمهارة الحربية التي كان عليها القائد غالب الناصرى، لمعت واتخذت من عهد الخليفة الحكم المستنصر ولد عبد الرحمن الناصر قمة ظهورها ورونقها، حيث وصل غالب الناصرى إلى مراتب القيادة العليا، وكان بذلك أول نموذج من الجند الصقالبة الذين وصلوا إلى هذه المرتبة، وعد من أكابر دولة الحكم، ومولى له، فضلاً عن كونه من نصحائه، ومستشاره المقرب، ومن أعظم قادة الأندلس ورجالاتها آنذاك، وكان الخليفة الحكم عرفانًا منه بقدر هذا القائد المظفر، فقد أسند إليه القيادة العليا، وأصدر مرسومًا بذلك في سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، وذلك لغنائه وجميل مقامه(٣). حيث أن غالب كان في شبابه قائدًا ماهرًا مرهوب الجانب لا تجرؤ إمارة نصرانية على تحدى قواته، وكان مقامه الدائم – وكما سبق القول- بمدينة سالم، ويعتلى قيادة جيش الثغور أي الجيش المرابط على الحدود الشمالية، وهو جيش ضخم أحُسن إعداده وتدريبه[4]، مضافًا إليه الفرق الإضافية المنتشرة في الكثير من الحصون التي أنشأها الأمراء على الحدود الشمالية، وكان أهمها مجريط وهي مدريد الحالية، وقلعة هنارس أو قلعة عبد السلام Alcala de Henares، ووادي الحجارة Guadala ajara، وسغونشة Siguenza، وأنيشة Atienza، والمنار Almenar، وقلعة النسور Calatanazor، وسوريا Soria، وأوسما Osma، وغرماج Gormaz، وناجرة Najiara، وكلها في حوض الدويرو والأوبر الأعليين وقرب منابعهما، وهي تقع على

---

(١) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٦٩.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج١، ص ٢٢١.

(٣) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥١٢.

وعن هذا المرسوم أنظر: ملحق رقم (٣).

(٤) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص ٣٨٦.

ثغور جبال الشارات أو جبال وادي الرمل Guadarrama التي كانت تعتبر الحد الطبيعي لبلاد الأندلس، ومن هذه الحصون عمل قواد المسلمين على سيادة كل حوض الدويرو، وكانت هذه المناطق خلاء تقريبًا، ولهذا سهل على قوات مملكة ليون من ناحية، ونبرة من ناحية أخرى التقدم فيها، وغزو بلاد المسلمين إذا وجدوا غرة منهم[1]. وإلى أخر أيام الحكم المستنصر ظلت سيطرة القوات الإسلامية قائمة على مناطق الحدود؛ بفضل ما كانت تتمتع به قوة وحسن واستعداد، وما كان يقوم بـه الحكم المستنصر من إمدادها بالمؤن والأسلحة[2].

ومثلما كان للقائد غالب الناصرى من دور بارز فى محاربة نصارى الشمال على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد كان له نفس الدور على أيام ولده الحكم، إذ أنه وفى صيف سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م كان الأخير قد خرج إلى الغزو معلنًا الجهاد، واجتمعت إليه الجيوش فى طليطلة فسار مخترقًا جبال وادي الرملة إلى أراضى قشتالة، وأشرف على قلعة شنت اشتبن المنيعة، فحاصرها المسلمون واستولوا عليها[3]، وعبثًا حاول الكونت فرناند جونثالث أن يقف فى سبيل المسلمين، إلا أنهم اجتاحوا أراضيه، وفرقوا قواته، حتى أذعن إلى طلب الصلح، ولكنه نكث عهده، فهاجمه المسلمون كرة أخرى واستولوا على بلده أنتيسه الحصينة[4].

وأرسل الحكم جيشًا أخر بقيادة يحيى بن محمد التجيبى حالكم سرقسطة فى اتجاه نافار، وكان ملكها غرسية سانشيز قد أغر على الأراضي الإسلامية ناكثًا لعهده، وهرع حليفه سانشو ملك ليون فى قواته لإنجاده، ونشبت بين الفريقين موقعة هزم فيها

(١) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص ٣٨٦.

(٢) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥١؛ محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٨٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٤٤؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٨٦.

النصارى وامتنعوا بالجبال، وفى نفس الوقت سار القائد غالب الناصرى مولى الحكم، ومعه سعيد بن الحكم الجعفري سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م فى جيش إلى مدينة قلهرة من قواعد نافار الغربية، فافتتحها وحصنها وشحنها بالرجال والعدة، وكان فتحًا عظيمًا، وقد استغرقت الفتوحات الصائفة فى سنتي ٣٥٢، ٣٥٣هـ/ ٩٦٤، ٩٦٣م[(١)].

. جهود غالب الناصرى فى قتال النورمان.

ومن الجدير بالذكر القول بإن غالب الناصرى مثلما كان له دور بارز فى حروب البر، كان له أيضًا دور مميز فى حروب البحر، حيث نجده يشترك مع الخليفة عبد الرحمن الناصر وسهيل بن أسيد فى غزو إفرنجة سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م، وقد حوت هذه الحملة العسكرية البحرية على ثلاثين مركبًا حربية، وستة شوانى[(٢)]، وخرجت من مرية بجانة فى ١٣ من شوال ٣٣١هـ/ ٩٤٢م، غير أنها تعرضت لعاصفة عاتية فتفرقت قطع الأسطول، وتلوم الخليفة عبد الرحمن الناصر بمرسى القبطة[(٣)]، أما القائدان غالب الناصرى، وسهيل بن أسيد فقد لجئا إلى ساحل منبسط، فغنما به ثم عادا إلى المرية[(٤)].

---

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤١؛ المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٨٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٨٧.

(٢) الشوانى: هي السفن الحربية الكبيرة، استخدمت فى القتال البحري فى البحر المتوسط، وعليها أبراجًا وقلاعًا للدفاع والهجوم، ولها حوالي مائة مجداف. أنظر: ابن مماتي: (أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعد، ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه: عزيز سوريال عطية (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١م)، ط١، ص ٣٤٠؛ درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم (الإسكندرية: ١٩٧٤، ص ٨٣ـ٨٤.

(٣) القبطة: هو حصن يقع إلى الجنوب الشرقي من خليج المرية. أنظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م)، ص ٤١.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٣٩.

أما عن مدينة المرية: فهي مدينة حصينة ومعقل مهم؛ لأنها منذ سميت بمرية بجانة كانت محرسًا ومرأى لهذه المدينة، وقد أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها وحوطها بسور منيع، وأقام على جبليها قصبتها التي عرفت بقلعة خيران. أنظر: المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٢٠٦، ٢٠٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٤١.

اشترك غالب الناصرى أيضًا فى قتال النورمان عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٧م، خاصة بعد ظهور سفن النورمان فى مياه قصر أبى دانس[١]، فاضطرب لظهورهم الساحل الغربي للأندلس، وتأهب المسلمون لملاقاتهم، فما أن وصلوا إلى الإشبونة حتى دارت بينهم وبين المسلمين معركة حامية استشهد فيها جماعة من المسلمين، وانتهت المعركة بهزيمة نكراء منى بها النورمان، واشترك فى هذه المعركة أسطول اشبيلية، فاقتحم بحريو الأندلس على النورمان بوادي شلب وحطموا عددًا من سفنهم، وأطلقوا أسر من كان قد وقع من المسلمين فى أيديهم[٢]. وانصرف النورمان بعد ذلك من ساحل الغرب، فى حين عاد الأسطول الإشبيلى إلى قاعدته، ويبدو أن سفن النورمان كانت تمتاز بمزايا خاصة كالسرعة فى الحركة، مما دعا الخليفة الحكم إلى إصدار الأمر لابن فطيس بإنشاء أسطول فى إشبيلية على هيئة مركب النورمان، إذ كان يتوقع عودتهم من جديد لسواحل الغرب[٣].

وقد صح ما توقعه الخليفة الحكم، فلم تكد تمضى خمس سنوات على معركة وادي شلب حتى جاءت الأنباء بظهور سفن نورمانية فى مياه الأندلس الغربية. وهذا ما أشار إليه ابن حيان بقوله: "إنه فى صدر رمضان سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م وقع الإرجاف بتحرك المجوس الإردمانيين النورمان... وظهورهم فى البحر الشمالي، وورومهم سواحل الأندلس الغربية على عاداتهم، فانزعج السلطان لما سيق إليه خبرهم، وعهد إلى عبد الرحمن بن رماحس قائد البحر وهو حاضر بقرطبة بالخروج إلى المرية والتأهب للركوب إلى ناحية الغرب"[٤].

(١) جاء أول ظهور للنورمان بمياه الأندلس فى عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م أيام عبد الرحمن بن الحكم. أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٨٨.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٨٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٥٧؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٤؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣-٤٤.

ويضيف ابن حيان على ذلك بإن : "الخليفة الحكم استدعى الوزير القائد غالب الناصرى، وكان حاضراً يومئذ بقرطبة فخصه بالتكلم معه فيما طرقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه، وأهاب به . . . . وحول إليه صائفة "عامة الآزفة"، وقلده العود لهم، والتهمهم بها براً وبحراً لضلاعته وغنائه، وعلمه بثقوب نظره وحمود اكتفائه، وحد له حدوداً أمره بالتزامها، والوقوف عليها، وبسطه أتم بسط، وقربه أفضل تقريب، واستودعه الله عز وجل، وأمره بالنهوض والأخذ فى شأنه، فودع وانطلق وهو يشيعه بدعائه، ويسأل الله له والمسلمين جميل صنعه وحسن عاقبته"[(١)].

غير أنه لم تقع أية معارك بين الفريقين، ويبدو أن ذلك كان بسبب ارتداد النورمان لما رأوا من تفوق قوى المسلمين واجتماع قواتهم[(٢)]، فعاد أسطول المرية تحت قيادة عبد الرحمن بن رماحس، كما عاد الوزير القائد غالب الناصرى من سواحل الغرب إلى قرطبة بعد أن أحجم النورمان عن ملاقاة المسلمين فوصل "فحص السرادق" من قرطبة فى ٢ صفر سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م[(٣)].

ـ المهام العسكرية للقائد غالب الناصرى ببلاد المغرب.

تعد بلاد المغرب أحد أهم خطوط الدفاع الجنوبية لبلاد الأندلس، ولذا فقد أولاها الخليفة عبد الرحمن الناصر جل عنايته، حيث وجه غليها العديد من الحملات العسكرية، والتي كانت إما لمحاربة الفاطميين أعداء الخلافة الأموية بالأندلس، أو لرد الهجمة، وكان للقائد غالب الناصرى دور فيها، ومثال ذلك ما قام به الحسن بن على من الإغارة على الأسطول الأموي، فأضرم فيه النيران وأحرق سفنه، مما دعي بالخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الرد على هذا الاعتداء، بإن أمر قائد البحر غالب الناصرى بالإبحار تجاه سواحل إفريقية والإغارة عليه[(٤)].

---

(١) ابن حيان : المقتبس، ص ٥٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ٤٣، ٤٤، ٤٦ .
(٢) ابن حيان : المقتبس، ص ٦٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ٤٦، ٤٧ .
(٣) ابن حيان : المقتبس، ص ٦٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ٤٦، ٤٧ .
(٤) سامية مصطفى مسعد : العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ٩٨ .

وفى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م استكمل الخليفة عبد الرحمن الناصر عدته لمحاربة الفاطميين فسير لذلك حملة بحرية كبيرة جعل على رأسها القائد غالب الناصرى فهاجم الأسطول الأندلسي مرسى الخرز، ومدينة سوسة، وفى هذه الموقعة أحرز غالب الناصرى نصرًا عظيمًا على الفاطميين[١]. وظلت حملات الخليفة عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب تتوالى على واحدة تلو الأخرى، حتى تمكن من السيطرة على ثغري سبتة وطنجة ومليلة، وعبرت جيوشه إلى بلاد المغرب لمقاومة جهود الفاطميين فى السيطرة على البلاد، ومحاربة الأدارسة أمراء المغرب والقائمين بالدعوة الفاطمية، حتى أذعنوا فى النهاية إلى طلب الصلح، واعترفوا بالسيادة الأموية سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٢م على بلاد المغرب[٢].

ومنذ ذلك الحين قامت الدعوة الأموية فى بلاد المغرب، وتقلصت دولة الأدارسة وارتدت إلى منطقة الريف ما بين غربي مضيق جبل طارق والمحيط الأطلنطي، وجعلت قاعدتها فى قلعة حجر النسر جنوبي تطوان؛ وذلك بعد ضياع عاصمتهم فاس، حيث لم تكن بلاد المغرب فى ذلك الوقت (٣٠٠-٤٢٢هـ/ ٩١٢-١٠٣٠م) مستقلة بمعنى الكلمة؛ لأنها كانت تنضوي تحت لواء المتغلب عليها سواء من الفاطميين أو الأمويين[٣].

كان الحسن بن قنون أخر أمير إدريسى فى بلاد المغرب الأقصى (ت: ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، ولما دخل جوهر الصقلي قائد الفاطميين إلى بلاد المغرب فى أواخر سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م أعلن الحسن الدخول فى طاعة الفاطميين ناكثًا بذلك عهده

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٢١؛ ارشيبالد. ر. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال (القاهرة: ١٩٦٠م)، ص ٢٣٧؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ٩٨.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٢٢؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ٩٩؛ حسين مؤنس: مرجع سابق، ص ٣٨٨.

(٣) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٤٩٢؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٠.

لخليفة عبد الرحمن الناصر، غير أنه عاد إلى طاعة بني أمية بالأندلس بعد أن انصرف جوهر إلى إفريقية، وظل على عهده حتى بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[١]. الذي رأى أن الخطر الفاطمي مازال محاطًا به، ومن ثم فكان لابد من ضرورة الاحتفاظ بسيطرة الأندلس على بلاد المغرب الأقصى والأوسط[٢]. وقد حدث ثمة صراع فى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، حيث اجتمعت قوات بني خرز أمراء زناتة الموالين للأمويين فى الأندلس وأعداء الشيعة فى إفريقية وصنهاجة مع قوات جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون المعروف بالأندلسي[٣] على قتال زيرى بن مناد الصنهاجى قائد الفاطميين، ودارت بين الفريقين فى رمضان سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م عند وادي ملوية على مشارف المغرب الأقصى معركة انتهت بهزيمة الشيعة وقتل زيرى بن مناد ومعظم رجاله واستيلاء الزناتية على معسكره[٤]، كما اجتز الزناتيون ومعهم جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون رأس زيرى ورؤوس عدة من أكابر صحبه وحملها جعفر ويحيى وأصحابهما إلى الأندلس وقدموها للخليفة الحكم، وهكذا انهار سلطان الشيعة فى بلاد المغرب[٥]. وقد دفع هذا الأمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى أن يسير قائده الصنهاجى يوسف بن زيرى بن مناد المسمى بلكين (٣٦٢-٣٧٣هـ/ ٩٧٢-٩٨٤م)[٦] على رأس جيش كبير إلى بلاد المغرب، فأوقع فى ربيع الثاني سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م الهزيمة بزناتة وأتباعها، حيث

(١) سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٠.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص ٣٣، ٣٦؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٠.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٢؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٠.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٦؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٢؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٠.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص ٢٦، ٢٧، ٤٤٢، ٥٧، ٥٣؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٢-٢٤٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول - القسم الثاني، ص ٤٩٣.

(٦) بلكين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي: استخلفه الفاطميون على بلاد المغرب عند انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، وهو منشئ دولة بني زيرى فى إفريقية. أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ٣١٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم ٣، ص ٦٥؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠١ هامش (٣).

كانت أعداد كبيرة منهم تسكن فى بجاية وبسكرة والمسيلة فى المغرب الأوسط(١) . عندئذ لم يتحمل زعيم زناتة محمد بن الخير بن خزر المغراوى هذه الهزيمة التي حلت بزناتة وأتباعها، فأقدم على الانتحار بأن اتكأ على سيفه فذبح نفسه، حتى لا يقع فى يد عدوه بعد أن تمزقت زناتة، وبسط بلكين سلطانه على بلاد المغرب، وقطع الدعوة للأمويين، وهدم مدينة البصرة(٢)، وبذلك حقق بلكين انتقامه لمقتل أبيه(٣).

ولم يمض وقت طويل على هزيمة زناتة حتى سارع الحسن بن قنون إلى نقض طاعة الأمويين فى الأندلس مرة أخرى، وبايع بلكين بن زيرى على الطاعة والولاء، واحتلوا طنجة وتطوان وأصيلة، وجعلوا من قلعة النسر مقرًا لقيادتهم(٤) . وهنا وجد الخليفة الحكم الفرصة السانحة لاحكام قبضته على بلاد المغرب، وخاصة بعد أن غادرها الفاطميون، فأرسل إليها القائد محمد بن القاسم بن طملس عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م فى جيش كبير(٥) وأعد أسطولا قويا تحت قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس لمقابلة الحسن بن قنون الذي تحصن بطنجة، لكن ما لبث أن فر منها بعد أن سلمت طنجة لجيش الخليفة الحكم، لكن الحسن بن قنون استطاع أن يعيد تنظيم قواته، والتقى بالجيش الأموي فى مكان يعرف بفحص مهران وهزمه وقال القائد محمد بن القاسم بن طملس سنة

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٤-٤٩٥؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠١.

(٢) مدينة البصرة: تقع فى بلاد المغرب قرب السوس بينها وبين فاس أربعة أيام.

أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٤٠؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠١ هامش (٤).

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٣؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠١، ١٠٢.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٤٤.

(٥) رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٧.

أما عن القائد محمد بن القاسم بن طملس: فقد كان يشغل فى أيام الحكم المستنصر منصب الوزير صاحب الحشم إلى جانب قيادته للجيش، وقد قتل فى حروب المغرب بفحص مهران سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م. أنظر: المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٨٩.

٣٦٢هـ/ ٩٧٢م(١) . وهنا طلب الحسن بن قنون الصلح حتى يعيد ترتيب جنده، غير أن الخليفة الحكم رفض صلحه، وأعد جيشًا سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م جمع قيادته لمولاه ووزيره وكبير قواده غالب بن عبد الرحمن الناصرى البعيد الصيت المعروف بالشهامة(٢). وأمده بعدد من كثيف من الجند والعتاد الضخم وبالأموال الوافرة لاستمالة القبائل، وأمره أن يشتد فى قتال الأدارسة، وأن يستأصل شأفتهم، وأن يطهر بلاد المغرب من كل القوى المناوئة لبنى أمية(٣)، وقال له: "سر يا غالب مسير من لا إذن له فى الرجوع إلا حيًا منصورًا أو ميتًا معذورًا، وأبسط يدك فى الإنفاق، فإن أدرت نظمت للطريق بيننا قنطار مال"(٤). فخرج غالب فى قواته الجرارة من قرطبة، وعبر البحر من الجزيرة الخضراء(٥) إلى قصر مصمودة (أو القصر الصغير)، وذلك فى الحادي عشر من رمضان سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، وعلم الحسن بن قنون بمقدمه، وعظيم أهبته، فغادر مدينة البصرة الواقعة فى الجنوب حيث إقامته، ولجأ بأهله وأمواله وذخائره إلى قلعة حجر النسر، الواقعة شمالها، ثم جمع قواته وخرج لقتال جيش الحكم، ونشب القتال بين الفريقين أيامًا، وبث غالب الناصرى فى رؤساء البربر من غمارة وغيرهم من جند الحسن بن

(١) ابن حيان: المقتبس، ص٨٩؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٤ـ٢٤٥؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٥؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٣، ١٠٢.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٦.

(٣) ابن الخطيب: مصدر سابق، ج ٢، قسم ٣، ص ٤٨، ٤٧؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٢١٨؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٦.

(٥) الجزيرة الخضراء: Algeciras: تقع فى أقصى الطرف الجنوبي لإسبانيا، وهى مرسى على مضيق جبل طارق مقابل سبتة أسسها العرب فى أول فتحهم الأندلس سنة ٧١١م، وبينها وبين مدينة جبل طارق ستة أميال (ثمانية عشر كيلو مترًا)، وهى متحضرة ولها سور حجارة، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة. أنظر: الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (ليدن، ١٨٦٤م)، ص ١٧٧، ١٧٦.

قنون الأموال والهدايا، فانفصلوا عنه واضطر الحسن أن يتمنع بمن بقى معه فى قلعة حجر النسر، فطارده غالب وضرب الحصار حول القلعة[1].

وفى أوائل شوال من سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م بعث الحكم ثقته محمد بن أبى عامر إلى عدوة المغرب بأحمال من المال والحلي والخلع لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالتهم إلى جانب الخلافة، وأصدر الحكم فى نفس الوقت مرسومه بتعيين لبن أبى عامر قاضيًا لقضاة العدوة، إلى جانب ما يتقلده من خطتي الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاة أشبيلية[2]. كما انضم إلى غالب الناصرى أيضًا الشاعر محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبنى والذي بعثه الحكم إليه تحقيقًا لرغبته حتى يساعده بنظمه على اكتساب ولاء المنشقين على الحسن[3]. ووصلت إلى غالب الناصرى بعد ذلك من الأندلس إمدادات جديدة بقيادة الوزير يحيى بن محمد التجيبى وإخوته يوسف ومحمد وهاشم وهذيل، ومعه جملة من المال فى المحرم من سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، ونزل يحيى وجنده بطنجة، وانضموا إلى قوات القائد غالب الناصرى[4]، الذي شدد الحصار على

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٧؛ السلاوى: الاستقصا، ج ١، ص ٨٧؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٨؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص١١٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٦ـ ٤٩٧؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٤.

(٣) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٧؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٥. وكذلك ملحق رقم (٤).

أما عن محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبنى: فقد كان فى أيام الحكم وعاش سنة ٣٩٤هـ، واتصل بالعامريين وحظي عندهم، وله أولاد نجباء مشهورون فى الدب والفضل، كما كان شاعرًا وعالمًا بأخبار العرب وأنسابهم، ويرجع أصله إلى طبنة (وهى بلد ضمن أرض الزاب فى عدوة المغرب) دخل بلاد الأندلس سنة ٣٢٥هـ. أنظر: الحميدى: جذوة المقتبس، ص ٤٧؛ ابن سعيد المغربي: مصدر سابق، ج ١، ص٢٠١؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص هامش ١٠٥ هامش (١).

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص١٣٨؛ ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٧؛ السلاوى: الاستقصا، ج ١، ص ٨٧؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص هامش ١٠٤.

الحسن بن قنون، وقطع عنه سائر علائقه وموارده، وبث قواده فى سائر الأنحاء لمطاردة الأدارسة واستئصال شأفتهم، ونشبت بين جند الحكم وبينهم معارك عديدة قتل فيها الكثير منهم، وفى صفر سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م استولى غالب الناصرى على مدينة البصرة، وسلمها على أهلها، بعد أن قتلوا نائبها الحسنى(١).

وفى تلك الأثناء كان الحسن بن قنون قد أجهده الحصار وأشرف على الهلاك ومن معه من أهله ورجاله، فاضطر فى النهاية إلى طلب الأمان والتسليم، وأعلن طاعته للحكم سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، ودخل غالب الناصرى قلعة حجر النسر(٢)، ودعي فى مسجدها للخليفة الحكم المستنصر(٣). بعدها تتبع غالب الناصرى سائر من بقى من الأدارسة ببلاد الريف المغربي حتى استأصل شأفتهم، وقضى على دولتهم، وسار إلى مدينة فاس ودخلها، وعين عليها حاكمًا من قبله، وتم بذلك إخضاع المغرب للدعوة الأموية، بفضل فارس الأندلس غالب الناصرى(٤)، الذي عبر فى أواخر ذي الحجة من سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م إلى الجزيرة الخضراء، تاركًا شئون عدوة المغرب للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبى تحقيقًا لرغبة الحكم، بعد أن استتبت الأمور ودعي للخليفة على المنابر(٥). وكان فى ركب القائد غالب الناصرى الحسن بن قنون وسائر أهله وشيعته من

---

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٧ – ٢٤٨؛ ابن الخطيب: مصدر سابق، ج ٢، قسم ٣، ص ٤٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٣٩٧؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٥. أنظر ملحق رقم (٥، ٦، ٧، ٨).

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٨؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٧.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص١٣٨؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٤٦؛ ابن الخطيب: نفس المصدر السابق، ج٢، ق ٣، ص ٤٨، ٤٧؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٣٩٧.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص١٧٨، ١٨٢؛ رينهرت دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٨؛ سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس، ص ١٠٥.

زعماء الأدارسة، ومعهم الأهل والولد، وعندما أشرق القائد غالب بركبه على قرطبة فى أوائل المحرم سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م أنزل الأشراف الحسينيون المرفقون له في الدور التي أعدت لهم بقرطبة وأرباضها[١]، وخرج الجند من مدينة الزهراء فى صبيحة يوم الخميس الخامس من المحرم لتلقى القائد المظفر والمسير بين يديه، وكان على رأسهم عدة من الفتيان ورؤساء الخدمة، ودخل غالب قرطبة فى عسكره، وفى ركبه الأشراف الأدارسة، ونزل بفحص الناعورة، ثم دخل مدينة الزهراء من باب السدة، ونفذ إلى القصر وأنزل الأدارسة الذين معه فى المجالس القبلية بدار الجند، وكان الخليفة الحكم قد جلس لاستقباله فى المجلس الشرقي المشرف على الرياض، وقد حف به إخوته، وجلس من بعدهم الوزراء والحجاب وأصحاب الشرطة والمدينة والقضاة وسائر أهل الخدمة كل فى مكانه المعهود، واستقبل الخليفة كذلك زعماء الأدارسة وشيخهم حنون بن أحمد بن عيس وشكر طاعتهم، وعفا عن الحسن، ووعدهم بالإحسان وأجزل لهم الأرزاق والصلات[٢].

وعلى كل فبعد أن حقق القائد غالب الناصرى هذا النصر الهائل على أعداء الخلافة الأموية ببلاد المغرب اتجه إلى قواعده بمنطقة الثغور شمال الأندلس، إذ أنه فى أوائل شعبان سنة ٣٦٤هـ/ إبريل ٩٧٥م قد هاجم جيش مشترك من الجلالقة والقشتاليين والبشكنس حصن غرماج الواقع على نهر الدويرة بالقرب من مدينة سالم، ونشب بينه وبين حاميته الإسلامية قتال عنيف، وشجع النصارى على انتهاك السلم المعقود بينهم وبين الخليفة الحكم اعتقادهم بأن قوى الأندلس كلها ما تزال مشغولة بحروب المغرب[٣]،

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٨؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٨.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٨؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٤٩٨.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٠١-٥٠٢.

وانقلب النصارى إزاء بسالة الحامية إلى محاصرة الحصن، ووافتهم إمدادات أخرى جاءت لتشد أزرهم[(١)]. وما كان من الحكم يقف على هذه الأنباء حتى بعث كبير قواده غالب الناصرى فى قوة مختارة غادرت قرطبة على عجل، وبعث الحكم فى إثرها أحمال المال للإنفاق على الصائفة، واستمر حصار النصارى لغرماج حتى شوال من تلك السنة السالفة الذكر، وجاءت للنصارى إمدادات جديدة من جند ليون سيرتها الراهبة البيرة الوصية على ملك ليون، ناكثة بذلك عهدها فى التهادن والسلم، وفى منتصف شوال هاجم النصارى الحصن، وقد بلغ عددهم أكثر من ستين ألفًا محاولين اقتحامه، ونشبت بينهم وبين الحامية الإسلامية معركة طاحنة انتهت بهزيمة النصارى وتبديد شملهم[(٢)]، فبادرت صفوفهم بالارتداد عن الحصن بعد أن فقدوا كثيراً من جندهم وعتادهم، وطاردهم المسلمون فقتلوا منهم جموعًا أخرى، وأحرزوا غنائم جمة، وبعث المسلمون إلى الوزير القائد غالب الناصرى وهو مقترب منهم لنصرتهم بنبأ هذا النصر، فأنفذه من فوره إلى الخليفة الحكم، وسار إلى الحصن ونزل به، ثم خرج فى قواته، فعاث حينًا فى أراضى قشتالة، وانتسف الزروع، وخرب القرى، فتقدمت قوة بعث بها غرسية فرنانديز صاحب قشتالة لمدافعة المسلمين، فهزمت على يد غالب وردت إلى أعقابها، وفى هذا يقول ابن عذارى: "أغزى الحكم القائد غالبًا، ففتح الله له فى المشركين، وانصرف سالماً غانمًا"[(٣)].

ولقد كان لهذا النصر أثره الكبير على القائد غالب، حيث قلده الخليفة الحكم سيفين مذهبين من ذخائر سيوفه، وسماه ذو السيفين[(٤)].

---

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٠٢.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٠٢.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٤٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٠٢.

(٤) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥١٢.

ـ غالب الناصرى وصراعه مع محمد بن أبى عامر ونهايته.

سبق أن ذكرنا أن ثمة صراع ظل قائمًا بين الوزير جعفر المصحفى والقائد غالب الناصرى؛ وذلك بسبب ما كان بتقوله الأول عن الثاني من عجزه عن الدفاع عن الحدود الشمالية ورد النصارى على أعقابهم، وبرز هذا الصراع بصورة أكبر أيام الخليفة هشام المؤيد[1]. وقد دفع هذا الصراع إلى التقارب بين القائد غالب الناصرى ومحمد بن أبى عامر، حيث اتفقا على إقصاء الوزير جعفر وإبعاده عن ساحة البلاط الأموي، حتى وقعت به نكبة مات على إثرها سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م[2]. وبهذا لم يبق إلا أن يتحول الصراع بين القائد غالب القائم على جيش الثغور، والوزير محمد بن أبى عامر متولي جيش الحضرة، والذي عكف على تنظيمه، والعمل على إنشاء صفوفًا جديدة من المرتزقة سواء من زناتة وصنهاجة أو من غيرهما من قبائل البربر، ومن الجند النصارى من ليون وقشتالة ونافار، وقد بذل لهم الجور السخية، واجتذب قلوبهم بعدته ورفعة جوده، كما قدم رجال البربر، وأخر زعماء العرب، وأقصاهم من مناصبهم، وفرق جند القبيلة الواحدة فى صفوف مختلفة، وكانوا من قبل ينتظمون فى صف واحد[3].

ولعل هذا جعل من الوزير محمد بن أبى عامر قوة يخشى بأسها، بعدما أستأثر بالحكم دون الخليفة هشام وأمه صبح البشكنشية، واللذان لم يكونا سوى أداء لينة فى يده، فأصبح بذلك ثمة صدام وشيك كان لابد له أن يقع بين محمد بن أبى عامر وغالب الناصرى[4].

وقيل أن هذا الصدام كان بتدبير من السلطانة صبح وتحريضها، خاصة بعد عجزها عن إيقاف امتداد نفوذ محمد بن أبى عامر، والذي سلبها كل سلطان هي وولدها هشام

(١) المقري: نفح الطيب، مج ٣، ص ٨٨، ٨٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص ٣٢٨.

(٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٣٧٠-٣٧٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٢٨-٥٣٠.

(٣) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٣٧٢-٣٧٣؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣١.

(٤) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٤؛ المقري: نفح الطيب، مج ١، ص ٣٩٧.

المؤيد[١] . فى الوقت الذي كان فيه غالب الناصرى بعيداً عن قرطبة ، حيث إقامته بالثغر ، وبرغم هذا البعد ، فإن محمد بن أبى عامر كان يرهب جانبه ، وربما أن ذلك كان للسمعة الطيبة التي حظي بها القائد غالب الناصرى فى ميدان الفروسية والقيادة[٢] ، مما جعل المعارضون يرون فيه الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يقارع محمد بن أبى عامر ، ويوقف سلطانه ، ولما كان محمد بن أبى عامر يعلم ذلك ، فقد أخذ يعد العدة لهذا الصدام ، حيث استدعى جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسي ورفعه إلى مرتبة الوزارة ، وهو من مشاهير الفرسان والقادة البربر من زناتة[٣] . وكان مقيمًا بالعدوة فعبر إلى الأندلس واستقر فى الوزارة ، يكنفه ابن أبى عامر بحله وثقته ، ويستعين به على تأليف البربر من بلاد المغرب ، ليقوى بهم صفوفه وبطانته[٤] . وفى هذا يقول ابن عذارى : " ولما ترقى ابن أبى عامر إلى هذا القدر ، عمل فى مكروه القائد غالب الناصرى صهره ، والتوطئة لأسباب هدمه ، فرأى أن يُبنىَ عليه ضداً له من أصحاب السيوف والحراب المشهورين ، لأن غالبًا كان يستطيل على ابن أبىَ عامر بأسباب الفروسية ، ويبانيه بمعاني الشجاعة ، ويعلوه من هذه الجهة التي لم يتقدم لابن أبى عامر بها معرفة ، فلم يجد لذلك مثل جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسي شدة وبأس ، وربط جأش ، ونباهة ذكر وجلالة قدر . . وعبر إلى الأندلس بجيشه فنزل قصر العقاب ، بعد أن أعد له ما يصلح فيه ، فاستوزره أبى عامر ، فعظم شأنه ، وأحله محل الخ فى الثقة ، وقدمه على الكُفاة . . . ولما علم غالب بإدناه جعفر علم الغرض فيه ، ففسد ما بينهما "[٥] .

ومن المرجح أن محاولة محمد بن أبى عامر التخلص من القائد غالب الناصرى ، كان من الصعوبة بمكان ، حيث أن غالب لم يكن كالمصحفى رجلا يسهل التغلب عليه

(١) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٤ـ٢٧٦ ؛ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٨ ؛ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

(٣) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٨ ؛ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٨ .

(٥) ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٢٧٨ـ٢٧٩ .

وإزاحته بمكيدة تدبر له فى البلاط ، بل كان قائدًا بارزًا ، فلو جاهر رغبته فى تخليص الخليفة هشام المؤيد من طغيان وزيره ، لانضم إليه أغلب الجيش ، وهذا أمر لم يكن مجهولا عند ابن أبى عامر الذي رأى أن وصوله إلى مبتغاه يحتم عليه إيجاد قوات أخرى مرتبطة به وحده دون سواه ، فأدرك أن بلاد المغرب وإسبانيا النصرانية هما خير من يمده بهذه القوات[1] .

وإزاء هذه الوحشة التي بدت من محمد بن أبى عامر تجاه القائد غالب الناصرى ، فقد كان لابد للأخير من أن يتدارك الأمر ، فعمد إلى مصانعة ابن أبى عامر ، ودعاه أثناء غزوة بالصائفة فى أراضى قشتالة إلى وليمة أقامها بمدينة أنتيسة[2] إحدى مدن الثغر التي تحت ولايته ، وجاء ابن أبى عامر إلى القلعة حيث أقيمت الوليمة فى بعض أصحابه فانفرد به غالب الناصرى وشرع فى عتابه[3] ، ثم اشتد بينهما النقاش فشهر ابن أبى عامر يفر ناجيًا بنفسه من مأزق بالغ الخطورة ، وامتنع غالب بالقلعة ، بينما سار ابن أبى عامر لفوره إلى مدينة سالم حيث دار غالب وأهله ، فاستولى عليها وعلى سائر أمواله ومتاعه ، وفرقها فى الجيش ، وعاد إلى الحضرة ، وهو يضمر لغالب أسوأ النيات[4] . وفى هذا يقول المقري : "وأما غالب الناصرى فغنه حضر مع ابن أبى عامر فى بعض الغزوات ، وصعد إلى بعض القلاع لينظرا فى أمرها ، فجرت محاورة بين ابن أبى عامر وغالب فسبه غالب ، وقال له : يا كلب أنت الذي أفسدت الدولة ، وخربت القلاع ، وتحكمت فى الدولة ، وسيل سيفه فضربه ، وكان بعض الناس حُبس يده ، فلما تم الضرب وشجه ، فألقى ابن أبى عامر نفسه من رأس القلعة خوفًا من أن يُجهز عليه ، فقضى الله تعالى أنه وجد شيئًا فى الهوى منعه من الهلاك ، فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برئ"[5] .

(١) رينهرت دوزى : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٢) أنتيسة : Antienza : وهى تقع شمال وادي الحجارة على مقربة من غربي مدينة سالم . أنظر : محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٨ هامش (١) .

(٣) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٨ .

(٤) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول – القسم الثاني ، ص ٥٣٨ .

(٥) المقري : نفح الطيب ، مج ٣ ، ص ٩٢ .

وكان غالب الناصرى أعظم قادة الأندلس وأبرعهم فى ذلك العصر، لديه فى الثغر قوات يعتد بها، فنهض لقتال ابن أبى عامر، وغلب عليها فى البداية غير مرة[١]، ثم رأى أن يستعين براميرو الثالث ملك ليون، فأمده ببعض قواته، وسار ابن أبى عامر لمقارعة خصمه فى معركة حاسمة[٢]، ووقع اللقاء بين الفريقين أمام حصن شنت بجنت San Vicente على مقربة من أنتيسة، ونشبت بينهما معركة شديدة، أبلى فيها غالب الناصرى وقواته بلاءً حسنًا، وكاد يحرز النصر فى البداية، ولكنه ما لبث أن سقط ميتًا من على جواده خلال المعمعة، ولم يعرف سبب مصرعه؛ لأنه لم يقتل بيد أحد، وحملت رأسه فى الحال إلى ابن أبى عامر[٣]. فدب الوهن والذعر إلى قواته، وطاردتها قوات الأندلس، وأمعنت فيها قتلا وأسرًا، وهلك من الجند النصارى الذين كانوا يقاتلون إلى جانب القائد غالب عدد جم، وكان بين القتلى أمير نصراني هو راميرو ابن سانشو أباركا من أمراء البشكنس[٤]. وقتل فى المعركة كذلك عدد من الكبراء والقادة المسلمين، الذين كانوا مثل غالب يعارضون سياسة ابن أبى عامر، وكان ذلك فى الرابع من محرم سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م[٥].

وقد روى الفيلسوف ابن حزم عن أبيه الوزير ابن حزم وزير محمد ابن أبى عامر – وكان ممن صحبه فى تلك الموقعة- تفاصيل المعركة حسبما شهدها، وهو يصف لنا هيئة القائد غالب حيث قال: "وهو شيخ كبير قد قارب الثمانين عامًا، وهو على فرسه،

(١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٨.

(٢) المقري: نفح الطيب، مج ٣، ص ٩٢.

(٣) ذكر أن فربوس سرجه قتله، وقيل غير ذلك: أنظر: ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٨.

(٤) وهو الذي تسميه الرواية العربية برذمير بن شانجة، ويعرف براعي قرجة. أنظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٩.

(٥) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص ٢٧٩؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٩.

وفى رأسه طرطور عال، وقد عصب حاجبيه بعصابه، قال: وكان قد جمع جموعًا عظيمة من المسلمين والنصارى، فبدأ بالهجوم على الميمنة، وفيها جعفر بن على وأخوه يحيى والبربر، وحمل عليهم حملة أزاحتهم عن مواقعهم، ومزقت صفوفهم، ثم حمل على الميسرة، وكان فيها الوزير ابن حزم مع غيره من الرؤساء، ففعل بها كما فعل بالأولى، ثم أخذ يتأهب لمهاجمة القلب، وهو تحت قيادة ابن أبى عامر نفسه، وهو يقول: اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبى عامر فانصرني، وإن كان هو الأصلح فانصره"[1].

ثم يضيف ابن حزم بعد ذلك مصرع غالب على النحو الآتي حيث قال: "ثم هز فرسه، وترك جبهة القتال، وأخذ ناحية إلى خندق كان فى جانب عسكره، فظن أصحابه انه يريد الخلاء، فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه، فوجدوه قد سقط إلى الأرض ميتًا، وقد فارق الدنيا بلا ضربة ولا رمية ولا أثر، وفرسه واقف بجانبه يعلك لجامه، ولا يعلم أحد سبب موته، فلما أدرك أصحابه سقط فى أيديهم، وطلبوا حظ أنفسهم، فبادر منهم بالبشرى إلى ابن أبى عامر، فلم يصدق حتى وافى موافي بخاتمه، ووافاه أخر بيده، ووافاه أخر برأسه"[2]. هذا وقد بلغت القسوة بابن أبى عامر بالتمثيل بجثمان خصمه الصريع الباسل، فحشي جلده بالقطن، وصلب على باب القصر بقرطبة، وصلب رأسه على باب الزاهرة، ولبث كذلك دهرًا حتى أدركه الفيلسوف ابن حزم نفسه، وهو فتى، وذلك عند إنزاله يوم هدم الزاهرة فى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م[3].

وبهذه النهاية انتهى عهد القائد غالب الناصرى أعظم فرسان الأندلس، والذي بلغت شهرته عنان السماء لغزواته وجولاته، وبعدما حظي من العزة والنفوذ سواء فى

(١) ابن حزم: "رسالة نقط العروس" مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، عدد ديسمبر ١٩٥١م، ص ٨١؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٩.

(٢) ابن حزم: رسالة نقط العروس، ص ٨١، ٨٢؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٩-٥٤٠.

(٣) ابن حزم: رسالة نقط العروس، ص ٨١، ٨٢؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، العصر الأول – القسم الثاني، ص ٥٣٩-٥٤٠.

المعارك العسكرية فى شمال الأنـدلس أو بـلاد المغـرب ، أو فـى بـلاط الخلافـة الأمويـة بقرطبة ، غير أن كل هذا لم يمنع القدر ، وليصبح احد الوزراء الذين انتقلـوا مـن القـصر على القبر .

الخـــاتمة

من خلال العرض السابق لموضوع : "وزراء فى ظل الحضارة الإسلامية بالأندلس من القصر إلى القبر" . يمكن القول :

ـ أن بلاد الأندلس كانت تمثل عصر الازدهار الفكري والحضاري، حتى حظي فيها العلماء والأدباء بعناية خلفاء بني أمية، مما دفع الكثيرين منهم إلى اعتلاء أرفع المراتب والوزارات، وكان من بين هؤلاء الوزراء جعفر بن عثمان المصحفى، وحسداى بن شبروط اليهودي، والقائد غالب الناصرى .

ـ تبين كذلك أن دخول هؤلاء الوزراء إلى بلاط الخلافة الأموية لم يكن إلا من خلال مواهبهم سواء الأدبية والشعرية وحسن الخط، أو العلم، أو القيادة، أضف إلى ذلك رعاية دولة بني أمية فى الأندلس لهم .

ـ تبين كذلك أن لكل وزير من الوزراء كان له مهام خاصة فمنهم القائم بأمور الحجابة وترتيب النفقات، ومنهم من قائم بشئون السفارة وعقد الاتفاقيات ، ومنهم القائد الذي وقف مدافعًا عن بلاده على رأس جيوشه .

ـ اتضح أيضًا أن من هؤلاء الوزراء ـ مثل الوزير جعفر المصحفى ـ من استغل نفوذه فعمل على استخدام أقاربه في المناصب المهمة، فكثرت بذلك ثروته وسلطانه، مما جلب إليه سخط العامة والخاصة، وقد أدى هذا فى النهاية إلى أن يتكالب عليه الجميع حتى تم التخلص منه ومن أقرباءه وبنيه . ولم يكن هذا إلا لفساد قد استشرى وعم .

ـ ولا مندوحة في القول، فإنه بالرغم مما أخذ على بعض الوزراء مثل الوزير جعفر المصحفى من سلبيات، أو ما دار من صراع طاحن بين كل من الوزير محمد بن أبى عامر والقائد والوزير غالب الناصرى فكل كان يسعى

لارتقاء الدولة، لكن على طريقته الخاصة، إلا أن هذا ولا ريب لا يقلل من الدور الذي لعبوه سواء في السياسة الداخلية للبلاط الأموي بالأندلس أو السياسة الخارجية، والمتمثلة فى عقد الاتفاقيات والمعاهدات، أو المجاهدة ورفع راية الحق والدين، وتأمين حدود البلاد من الأعداء. وتبين أنه مهما قد حازوا من الأموال والنفوذ والسلطان، فقد انتقلوا بكل أعمالهم حسنها وسيئها من القصر إلى القبر، ولم يبق إلا ما سجله التاريخ عليهم من أفعال وأقوال.

ملاحـق الكتاب

أولاً: الخطابات والمراسلات.

ثانيًا: الخرائط.

ثالثًا: الأشكال والصور.

أولاً: الخطابات والمراسلات

ملحق رقم (١)

رسالة جوابية من الحكم المستنصر بالله الخليفة الأموي إلى وزيره جعفر بن عثمان الذي مرض مرضًا شديدًا أشفى منه على الموت، فأرسل إلى الخليفة كتابًا يسأله أن يخلفه فى أهله. وقد أجابه الخليفة بما يلي، علمًا أن الوزير شفى من مرضه بعد فترة، وكان ذلك سنة ٣٦١هـ[(١)].

" قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك، ووقع بأسك وارتفاع رجائك فعظم علينا ذلك، وكثر غمنا به، وأشفقنا منه، ونرجو أن يأتي الله بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لابد من كونه قريبًا أو بعيدًا أو تخطانا، فكل ما سألت ورغبت من نفسك وأهلك، ومن تتخلف فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته. فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا، ولما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك، وإنا لم يرد علينا من قبلك وناحيتك قط ما أغمنا ولا ما أنكرنا، ولا سوءتنا قط بشيء ظاهرًا ولا باطنًا فإن تكن المصيبة فإن لله وإنا إليه راجعون، وإن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديد أفضاله، وجميل بلائه، وعلى كل أحواله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته " .

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ٦٩ ـ ٧٠؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص ٢٠٩ـ٢١٠.

ملحق رقم (٢)

خطاب حسداى بن شبروط اليهودي إلى يوسف ملك الخزر[1].

" . . . تبدأ الرسالة بالتحيات والعبارات الدبلوماسية المنمقة، وترسم الرسالة صورة وردية لازدهار اسبانيا المسلمة وما ينهم به اليهود من رخاء تحت حكم خلفتها عبد الرحمن وهى حالة لم يعرف لها مثيل قط، فقد حظي بالرعاية الضعفاء المنبوذون وشلت أسلحة مضطهديهم وطرحت العبودية يسمى البلد الذي نعيش فيه باللغة العبرية "سفراد" ولكن يطلق عليه المسلمين "اسم الأندلس" . ثم يواصل حسداى كلامه فى رسالته ليوضح كيف سمع لأول مرة عن وجود مملكة يهودية من تجار خراسان، ثم بطريقة أكثر تفصيلا من المبعوثين البيزنطيين وينقل ما قاله له هؤلاء المبعوثون. "لقد سألتهم(يقصد البيزنطيين) عنها فأجابوا بأن ما سمعته صحيح وأن اسم المملكة هو الخزر — وأن بين القسطنطينية وهذه البلاد (الخزر) رحلة تستغرق خمسة عشر يوما بطريق البحر، أما طريق البر فهناك شعوب كثيرة بينها وبينهم. أما الملك الحاكم فسمه يوسف، وتنقل غلينا السفن القادمة من بلادهم السمك والفراء وكافة أنواع السلع وهم فى تحالف معنا ونحن نجلهم ونتبادل معهم السفارات والهدايا، وهم أشداء ولهم قلعة لمخافرهم الأمامية ولجنودهم الذين يخوضون المعارك فى غزواتهم بين وقت وأخر" . . . ثم يقص حسداى محاولاته الأولى الاتصال بالملك يوسف فقال أنه أرسل فى بادئ الأمر رسولا يدعى إسحاق بارناتان وزوده بتعليمات للسفر إلى بلاط الخزر، ولكن إسحاق لم يتجاوز فى رحلته مدينة القسطنطينية حيث عومل بلطف وكياسة، ولكنه منع من مواصله سفره(وهو أمر مفهوم: نظرا لموقف الإمبراطورية البيزنطية نحو المملكة اليهودية فلا شك

(١) آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ص ٧١-٧٣.

أنه لم يكن فى صالح قسطنطين تيسير عقد حلف بين مملكة الخزر وخلافة قرطبة ورئيس وزرائها اليهودي)، من ثم عاد رسول حسداى إلى اسبانيا دون أن تتمكن البعثة من إتمام رسالتها، ولكن سرعان ما سنحت فرصة أخرى: فقد وصلت إلى قرطبة سفارة من شرق أوروبا كان بين أعضائها يهوديان: مارصاءول وماريوسف تطوعا أن يحملا خطاب حسداى إلى الملك يوسف (يفهم من الرد الذي أرسله يوسف إلى حسداى أن خطاب حسداى سلمه للملك شخص ثالث يدعى إسحاق بن اليعازر).

وبعد أن شرح حسداى فى إسهاب كيف تمت كتابه خطابه وكذا محاولاته لضمان وصول هذا الخطاب إلى صاحبه راح يوجه سلسلة من الأسئلة التي تعكس حرصه الشديد فى الحصول على معلومات أوفى عن كل ناحية تخص بلاد الخزر: من جغرافيتها إلى طقوسها الخاصة بالاحتفال بيوم الراحة اسبوعى(يوم السبت) ـ أما الفقرة الختامية فى خطابه فإنها تضرب على وتر مختلف تمامًا عن تلك الفقرات التي استهل بها حيث يقول:

" أحس بدافع يحثني على أن اعرف الحقيقة من حيث عما إذا كان هناك حقا مكان على الأرض يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها ولا تكون خاضعة لأحد -- فإذا قدر لي أن اعرف أن لهذه البقعة وجودًا حقيقيًا فلن أتردد فى أن أتخلى عن كل ما أتمتع به من امتيازات- وان أستقيل من منصبي واهجر أسرتي واجتاز الجبال والسهول وأخوض البر والبحر حتى أبلغ الأرض التي يحكمها مولاي الملك (اليهودي) ولى أيضًا التماس إضافي واحد: أن أخطر عما إذا كان لديك اى علم (بالتاريخ المحتمل) للمعجزة الختامية (قدوم المسيح المخلص) التي ننتظرها طيلة تجوالنا من بلد إلى أخر. أما وقد لحقنا الذل والهوان فى شتاتنا فلزاما علينا أن ننصت فى صمت لأولئك الذين يقولون: لكل شعب أرضه الخاصة وانتم وحدكم لا تملكون ثمة شبح بلد على هذه الأرض".

ملحق رقم (٣)

توقيع الحكم بترفيع مولاه غالب وجعله قائداً أعلى للجيش[1].

" هذا ما تضمنه غالب لنا بلسانه ، أبانه عندنا وبين أيدينا له ضامنًا ، ثم خطه بيمينه فى كتابه هذا . وقد قبلناه وأمضيناه ورضيناه وأجزيناه ، فليلزم توقيعنا هذا ويستقر فى البيت عندكم ، إن شاء الله ، ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه ، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفًا له ، إن شاء الله ، والله المستعان " .

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ؛ محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس ، ص ١٨٤ـ ١٨٥ .

ملحق رقم (٤)

رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب، الذي أرسل إلى العدوة لمحاربة ابن قنون يفيد فيه بإرساله للشاعر محمد بن حسين الطبنى وفق طلبه[1].

" وإن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد بن حسن الطبنى إليك على ما رغبت فيه ، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة فى جميع أحواله ، مع نفاذ ذريته وصدق ممارسته لما يرمى إليه ، وأعترف أحمد بن يعلى ـ رحمه الله ـ بذلك ، وشكرنا له تصحيحه ومناصحته ، ولن يألوك عوناً وتزييناً ، إن شاء الله " .

(١) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٠٩ ؛ محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس ، ص ١٩٢ .

ملحق رقم (٥)

رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى القائد غالب، الذي أرسل يذكر له خبر معركة دارت بينه وبين حسن بن قنون، وكيف أنه انتصر فيها عليه وألزمه الهرب[1].

" . . . يحمد مقامه ويشكر فعله، ويستثب صبره، ويعرف أن أمير المؤمنين جاد فى حرب الفاسق حسن ومحاكمته إلى الله ما امتدت به حياة يحكم الله بينهما بعدله. وقد أمر بإخراج الأخوة التجيبيين يوسف وهاشم وهذيل بني محمد بن هاشم، وأخوة العاصي بن حكم بني عمهم، وحميد بن قياطن، وعدة من ثقات أصحابه، ومئة غلام من الرماة المماليك وطائفة من فرسان الرياضة إليه. وإن بني خزر اللاحقين بباب سدة أمير المؤمنين لاحقون به إثر كتاب أمير المؤمنين، إذ رغبوا الكون معه، والتصرف بين يديه إلى أن يلحق بنو عمهم، إذا صاروا اليوم فى بادية فاس على ما ذكره، رسول عبد الكريم صاحب عدوة الأندلسيين منها، وأمر عند احتلالهم بحفظهم وتكريمهم وتلقيهم أحسن التلقي، لشرفهم وقديم طاعتهم وتأميلهم " .

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ١٢٥ ؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص ١٩٢-١٩٣.

ملحق رقم (٦)

رسالة الحكم المستنصر إلى مولاه غالب، صحبة الوزير يحيى بن هاشم التجيبى عندما أرسل مددًا إلى غالب فى العدوة المراكشية(١).

" . . . وإن العهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالحفوف إليك والبدار نحوك، وأن يتصرف كيف رأيت تصريفه، فهو مدد لك، وعون على محاولتك. فانظر فى جميع ما بين يديك، ومن يحويه عسكرك، نظر من أفرده أمير المؤمنين ببعثه، وقلده ما بين يديه " .

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ١٢٩-١٣٠؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص ١٩٣.

ملحق رقم (٧)

رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب، الذي أرسل رسالة يشكو غلاء الأسعار لديه لكثرة أفرد الجيش، ويذكر له لجوء عدد من بني إدريس الحسينيين إليه بأعداد غفيرة[١].

" . . . وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير فى مال أو طعام، فموادها موصولة بك، ومتلاحقة لديك، حتى يفتح الله فى الظالم القاطع بعدله، ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة، وأهراء الأندلس المغتصة، فلو لم يبق منها غير ما فى الهراء الخاصة بقرطبة، لاحتمل إليك جميع ما فيها. كما انه لو تقاصرت يدك، والتوى عزمك، وانتكأت الأحوال بك- ولن يفعل الله ذلك- لاستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة، واتخاذها وطنًا مستقرًا، ولأجاز لمجاهدة الفاسق كل جندي فى ديوانه مع كل متصرف فى مملكته، غضبا لله – تعالى جده- وإنكارا لما ركبه الملحد من إنهاك محارمه، واستهلاك نعمه. فأقبل على ما بين يديك، إقبالا من لا يناجى نفسه بانصراف، أو انحراف، إلا بعد الظهور على عدوك بحول الله وقوته، أو اضطراره إلى الجنوح والرجوع عن غيه، والإنابة إلى رشده، باللحاق بباب سدة أمير المؤمنين، فهذه أقل الأحوال المرتضى بها منه، أو نفيه عن أرضه، وإخراجه عن جميع ذلك البلد، بعون الله عليه وقوته. وإذا تصفحت مكانك من العبودية ومحلك من النصيحة والخدمة، ومكانك من الخصوصية والنعمة، والنصاب إلى نصبت فيه والمحل الذي أحللته، والاسم الذي حملت عنه عدو الاسم، من فرق الشرك فى الحكنة والتجربة، وقارعة الحروب، ومساجلة الخطوب،

(١) ابن حيان: المقتبس، ص ١٣٠ ؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص ١٩٣- ١٩٤.

والوقع تحت وقائعها المثخنة، والمنازلة لأقرانها المتألبة، حتى طالت يدك على ما طاولك وقرعت قناتك من قارعك، أبت لك هذه الأحوال المتظاهرة والحقوق المتوافرة عن الرضا بغير ما يرضاه أمير المؤمنين منك، أو الانقياد لمالا يستفيد لك حسن رأيه، أو الانصراف إلا على ما لم تزل متصرفًا عليه من الظهور والعلاء بفضل الله تعالى، المرجو لك، والموثوق به، فى كفايتك ورعايتك، فاستقبل نظرك استقبال من استشعر مذهب أمير المؤمنين، ووطن فيه على أن لا مرجع له عنه، إلا بما يجب، أو يموت فيعذر" .

ملحق رقم (٨)

رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب، الذي أرسل له يخبره فى رسالة انتصاره على الحسن بن قنون فى أحدى المعارك[1].

" . . . وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك، والبحر دونك، وربما تعذر ركوبه، فاجعل الطعام ذخيرتك، وحفظه تجارتك، فالأموال بحمد الله موفورة، واحتمالها فى كل وقت ممكن، فمن مذهب أمير المؤمنين إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار غلى سبتة يقرها هناك بالقرب منك، فيسهل كل وقت إنفاذ الحاجة منها إليك، فاسكن إلى ذلك، واحتط فى الطعام جهدك، ووطن على الصبر نفسك، ولا تمنها برجوع غلى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين، ويفرق ملأ الملحدين الضالين الذين صاروا حزبًا للغوي ووليًا معه على المسلمين. ولو أمكن وجوه أهل المسكن أن يقيموا أزواجا من البقر يزدرعون بها فى الأرضين المحوزة من الفاسقين بحيث لا يوصلون بذلك إلى أهل البلاد ضررًا، ولا يلحقونهم تضييقًا، لكان ذلك من أفضل ما يقع بمرافقة أمير المؤمنين، إذ مذهبه تعمير البلد، وتأمين أهله، وتعريفهم ألا إقلاع له عن عرصته حتى تكون كلمة أهله واحدة، أيديهم مترادفة، والدين قيما، والسنة متبعة بحول الله وقوته . .

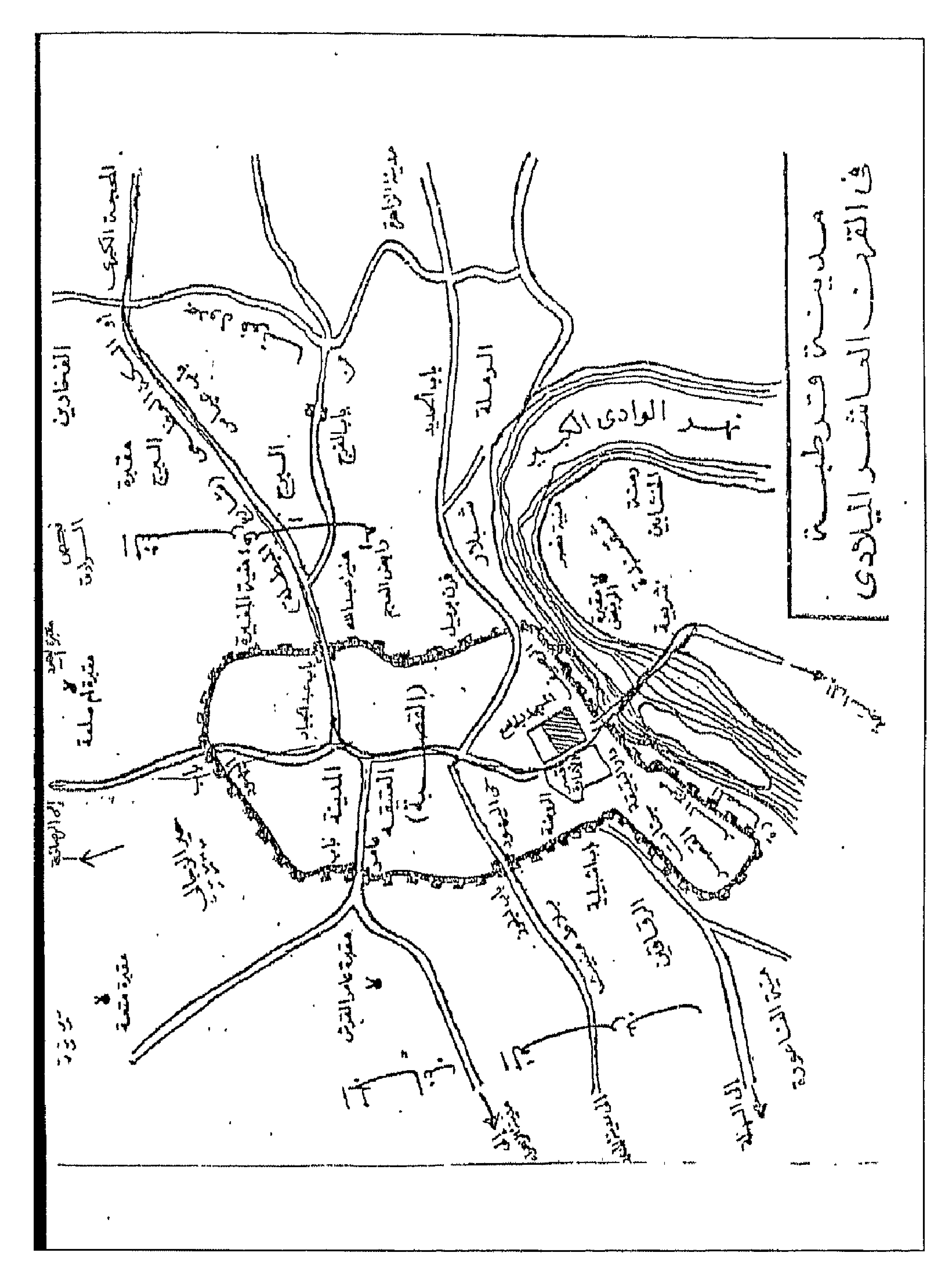
كذلك ضمن هذا الكتاب ما رآه الخليفة من إقامة البرد قبله، وأن يرتب فى العسكر لديه وبمدينتي طنجة وأصيلا منها، ما يراه الوزير القائد كافيا بالركض بالأخبار، لانتظام الناحية :

فتعجل باتخاذ الدواب لها، وتعهد إلى الخرجين بالعسكر عنه بدفع أجر خدمته لكل شهر، وإلى الخازن بإجراء العلوفة على الدواب، والنفقة على الفرانقين، والخدمة إن شاء الله " .

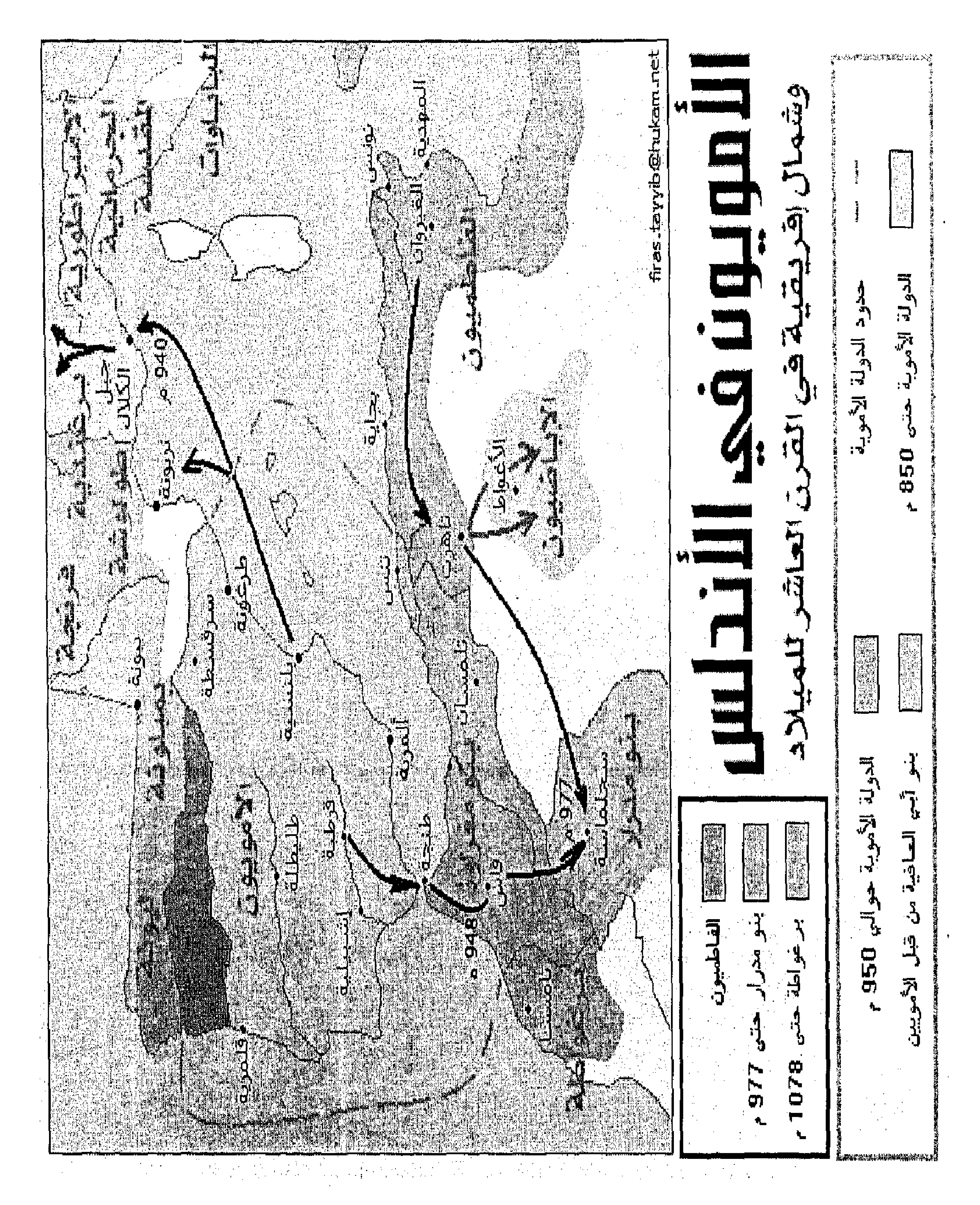
---

(١) ابن حيان : المقتبس، ص ١٣٠؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس، ص١٩٤-١٩٥.

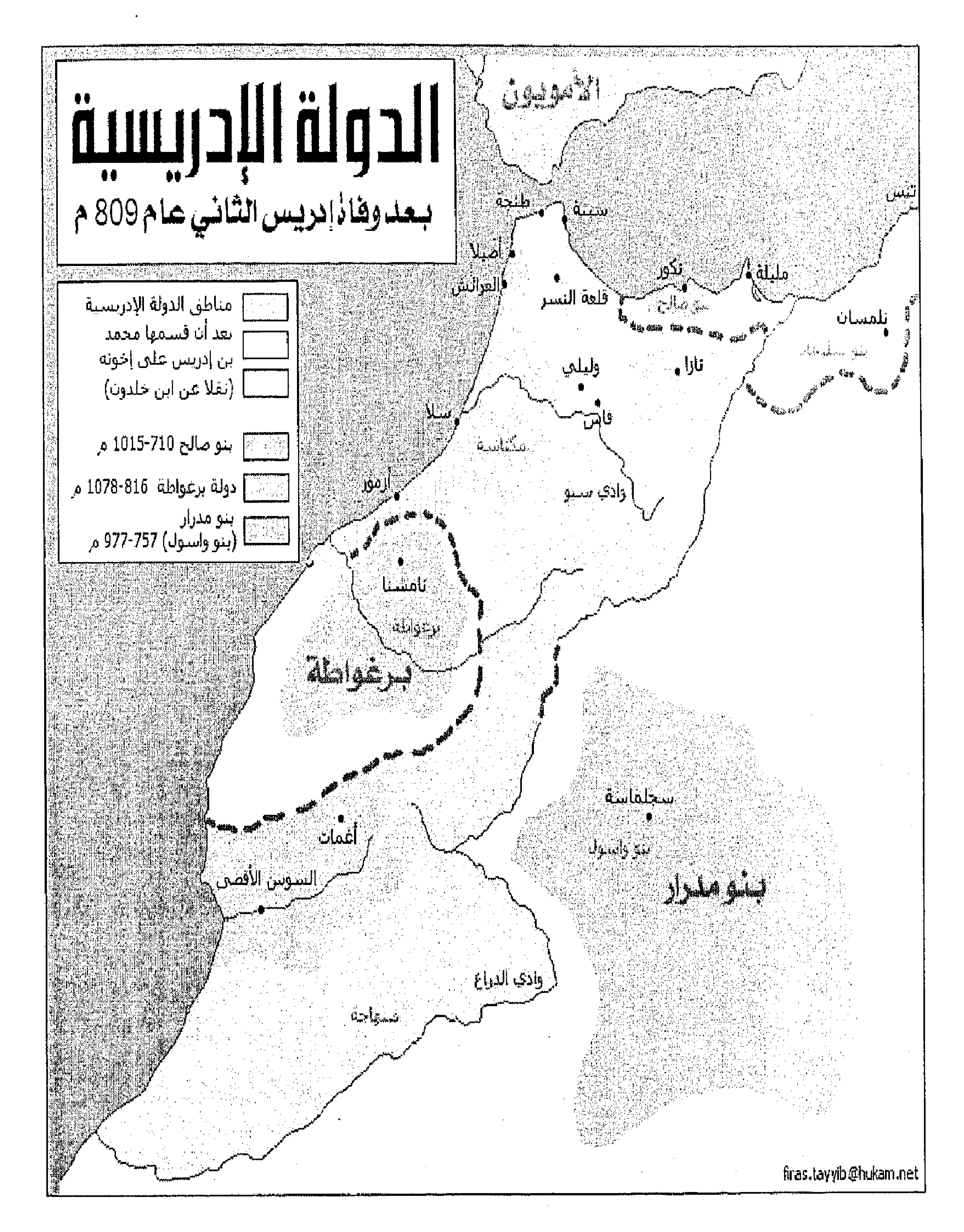
ثانيًا: الخرائط



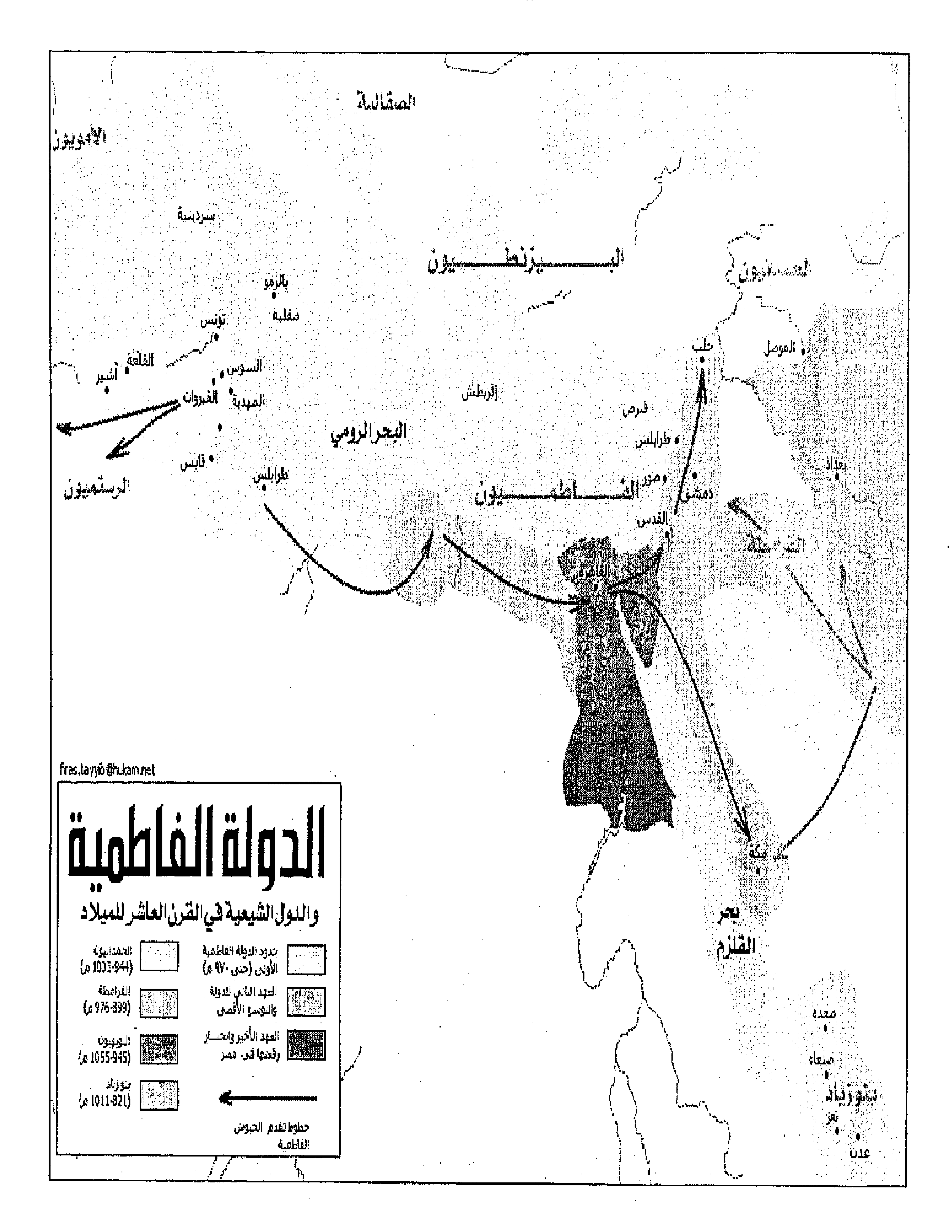
خريطة رقم (١): قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.



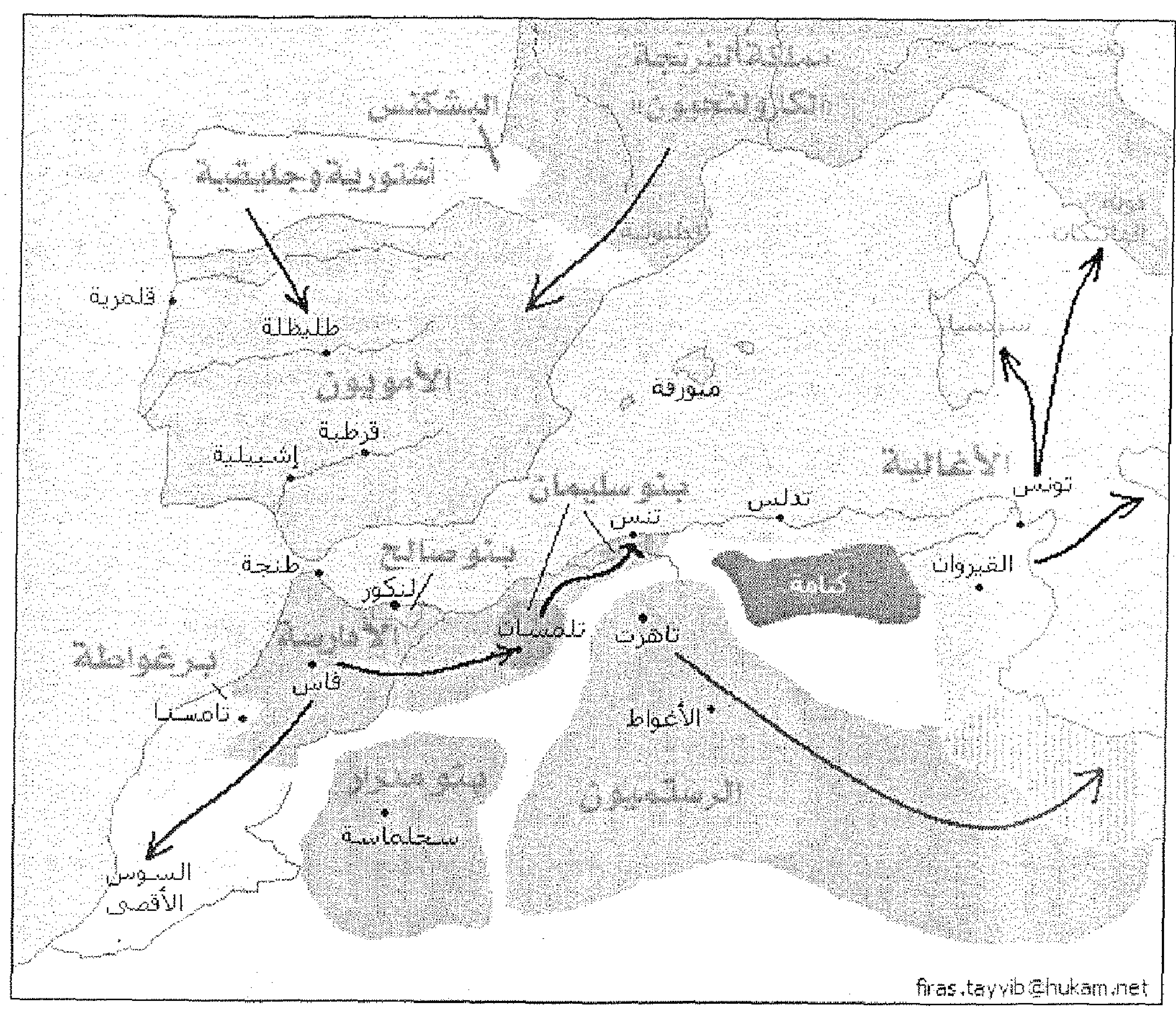
خريطة رقم (٢) : الأمويون في الأندلس وشمال إفريقية فى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.



خريطة رقم (٣) : الدولة الإدريسية إبان القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي .



خريطة رقم (٤): الدولة الفاطمية إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.



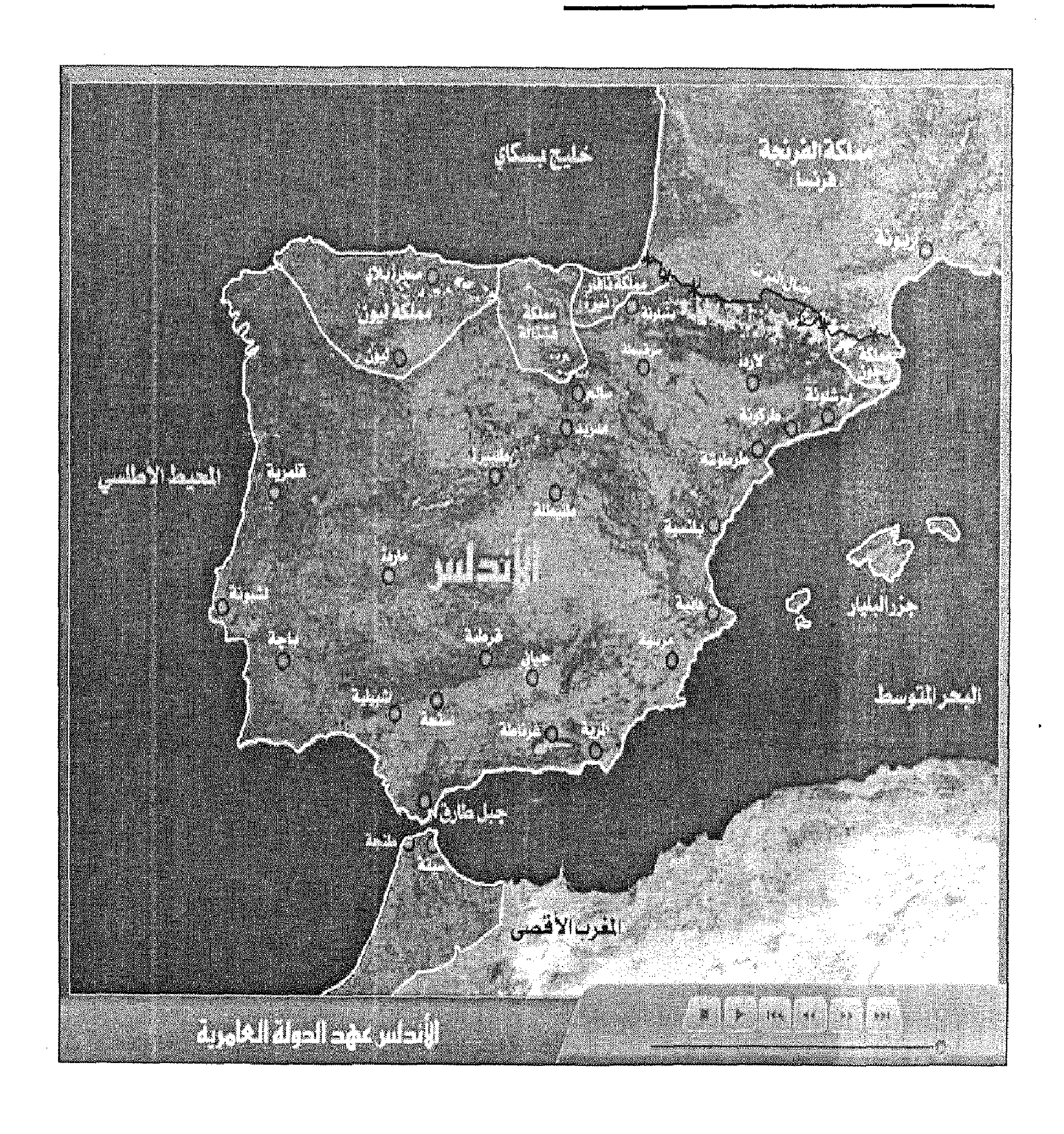
الأدارسة، الرستميون والأغالبة

شمال إفريقية والأندلس في القرن التاسع للميلاد

الدولة الإدريسية

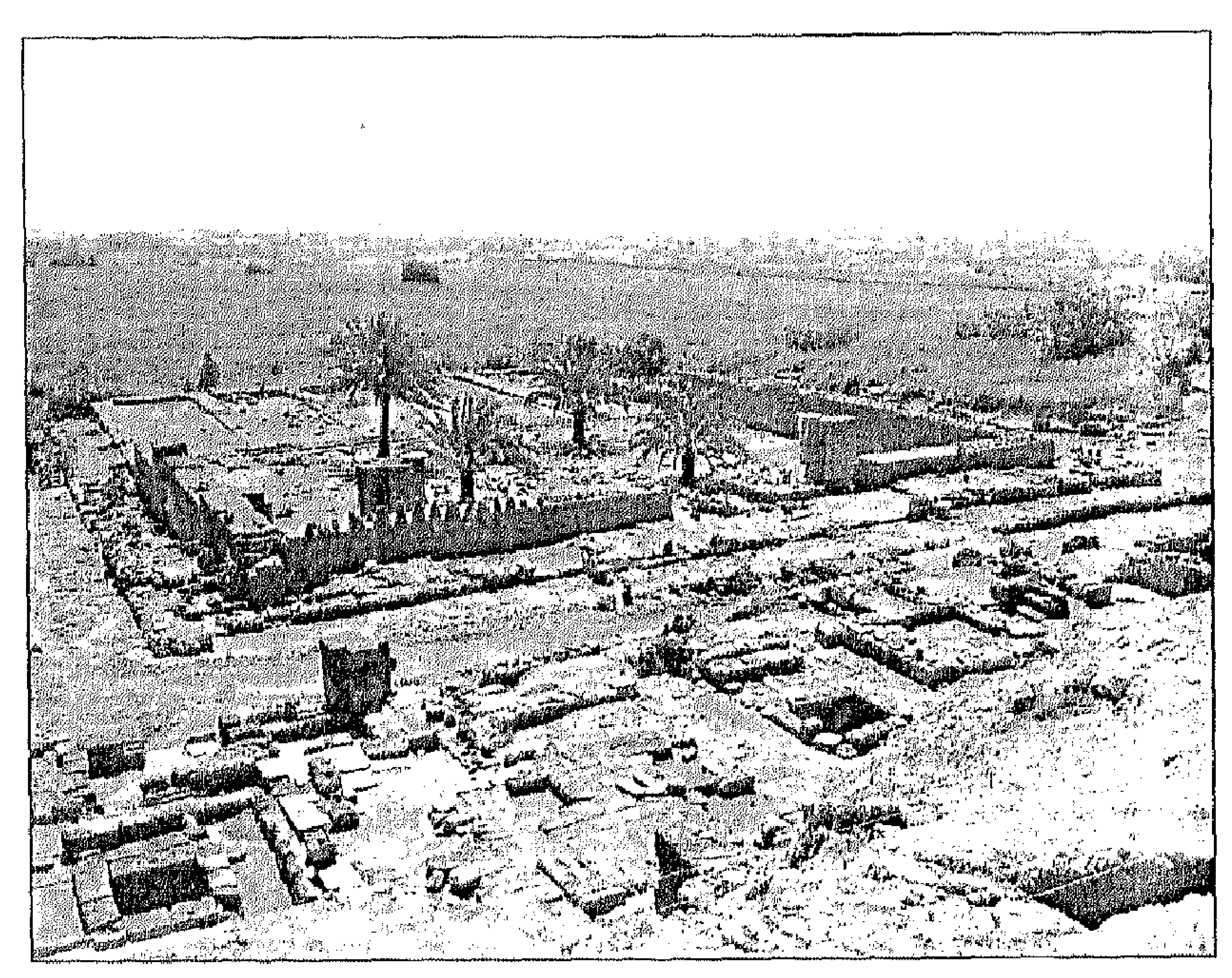
الأدارسة 788-904 م	الأمويون 756-1031 م	بنو صالح 710-1015 م
بنو سليمان في تلمسان 802 910 م	الرستميون 776 908 م	بنو مدرار 758 977 م
بنو سليمان في التنس 805 910 م	الأغالبة 800-909 م	برغواطة 816-1078 م

خريطة رقم (٥) : الأدارسة والرستميون والأغالبة فى شمال إفريقية والأندلس فى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

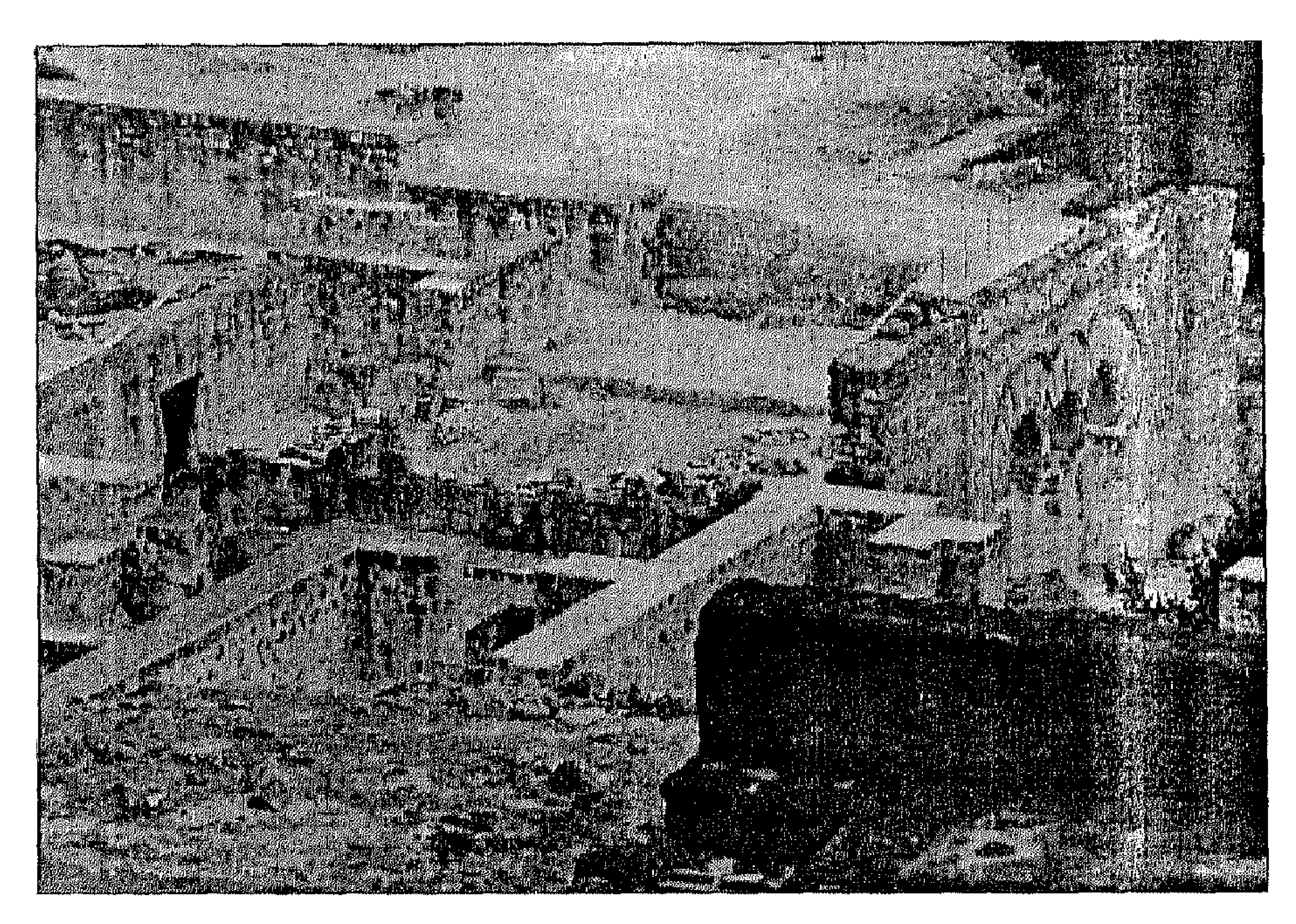


خريطة رقم (٦): الأندلس في عهد دولة بني عامر.

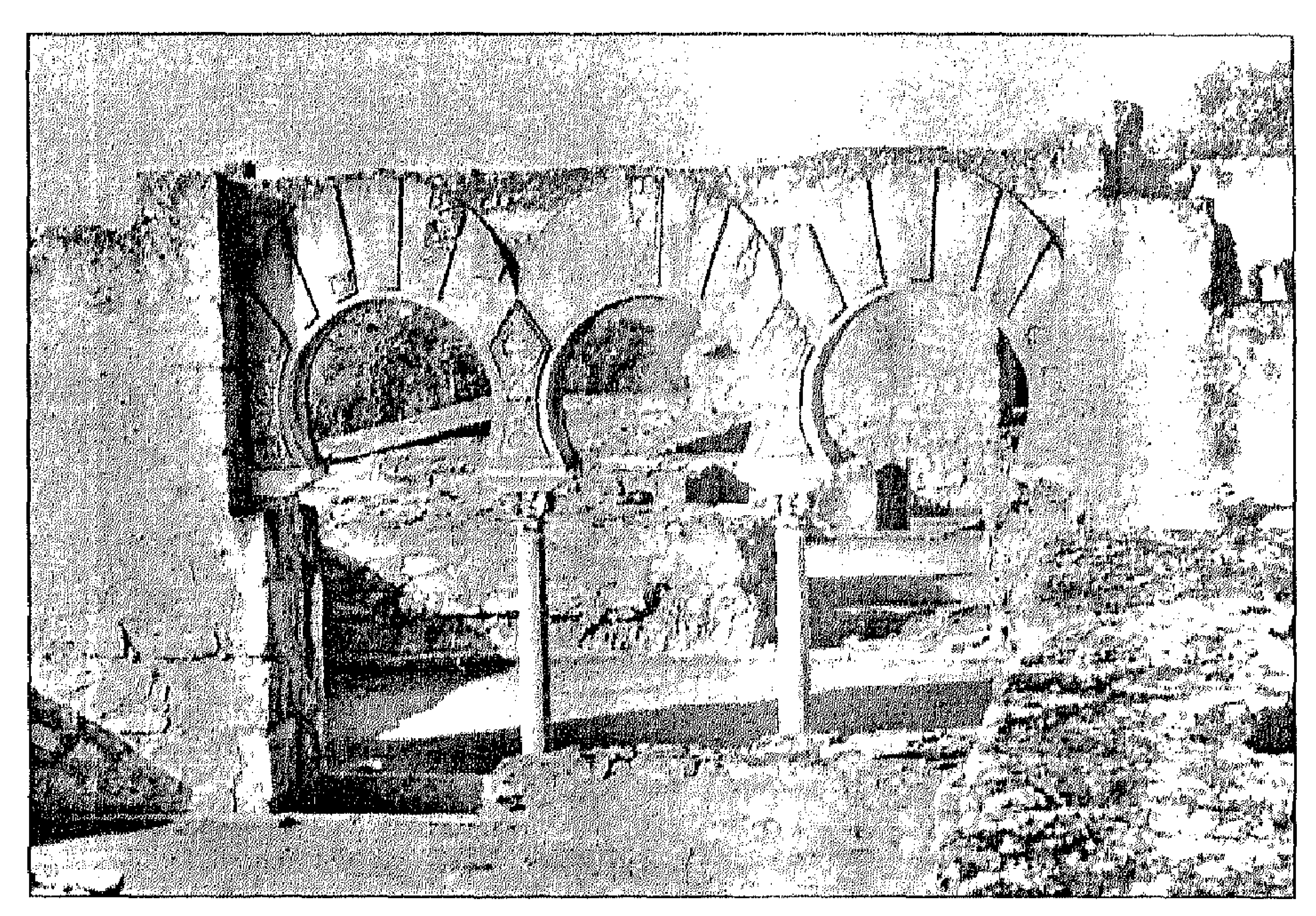
ثالثاً: الأشكال والصور



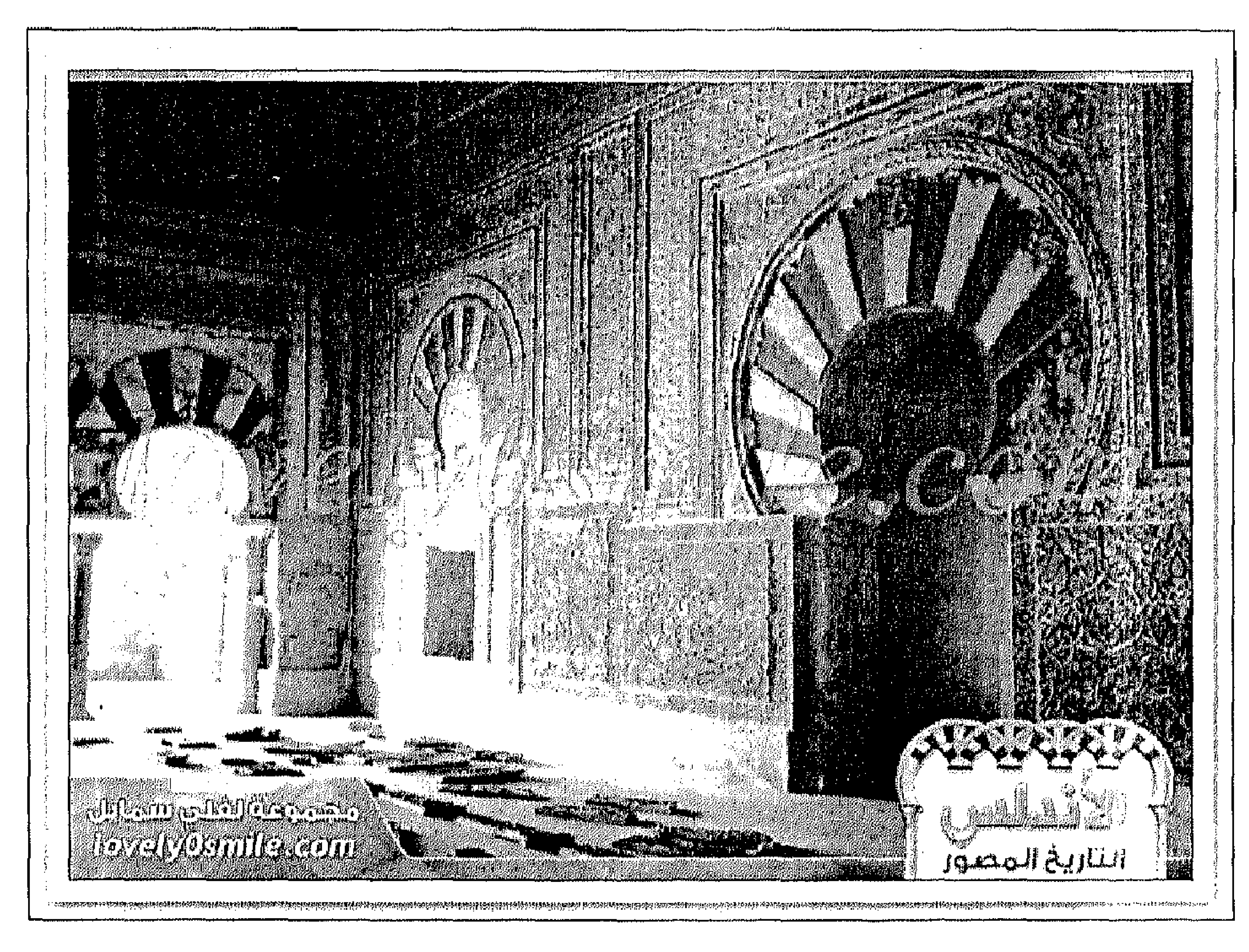
شكل رقم (١) : بقايا مدينة الزهراء بالأندلس.



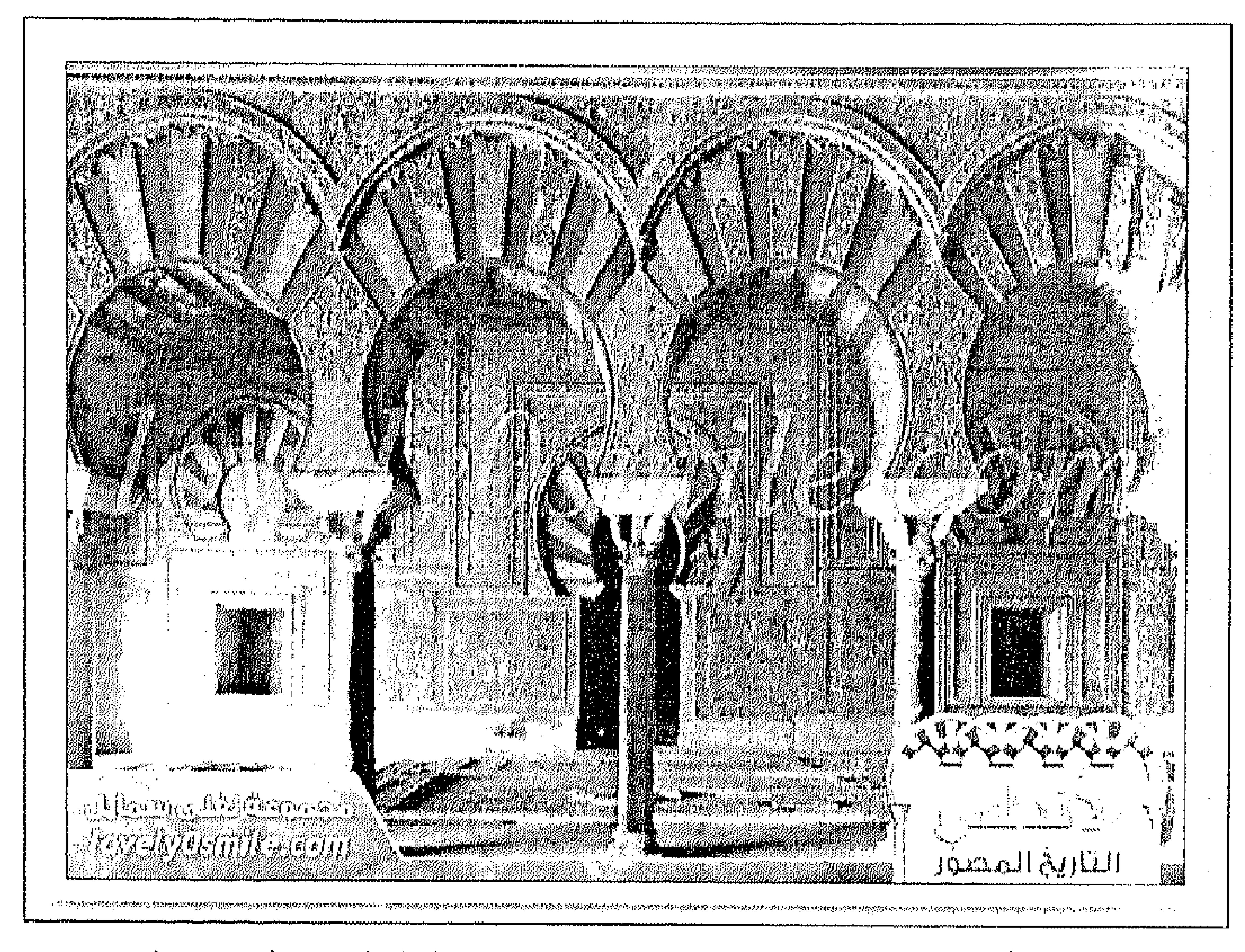
شكل رقم (٢) : بقايا مدينة الزهراء بالأندلس.



شكل رقم (٢) : بقايا مدينة الزهراء بالأندلس .



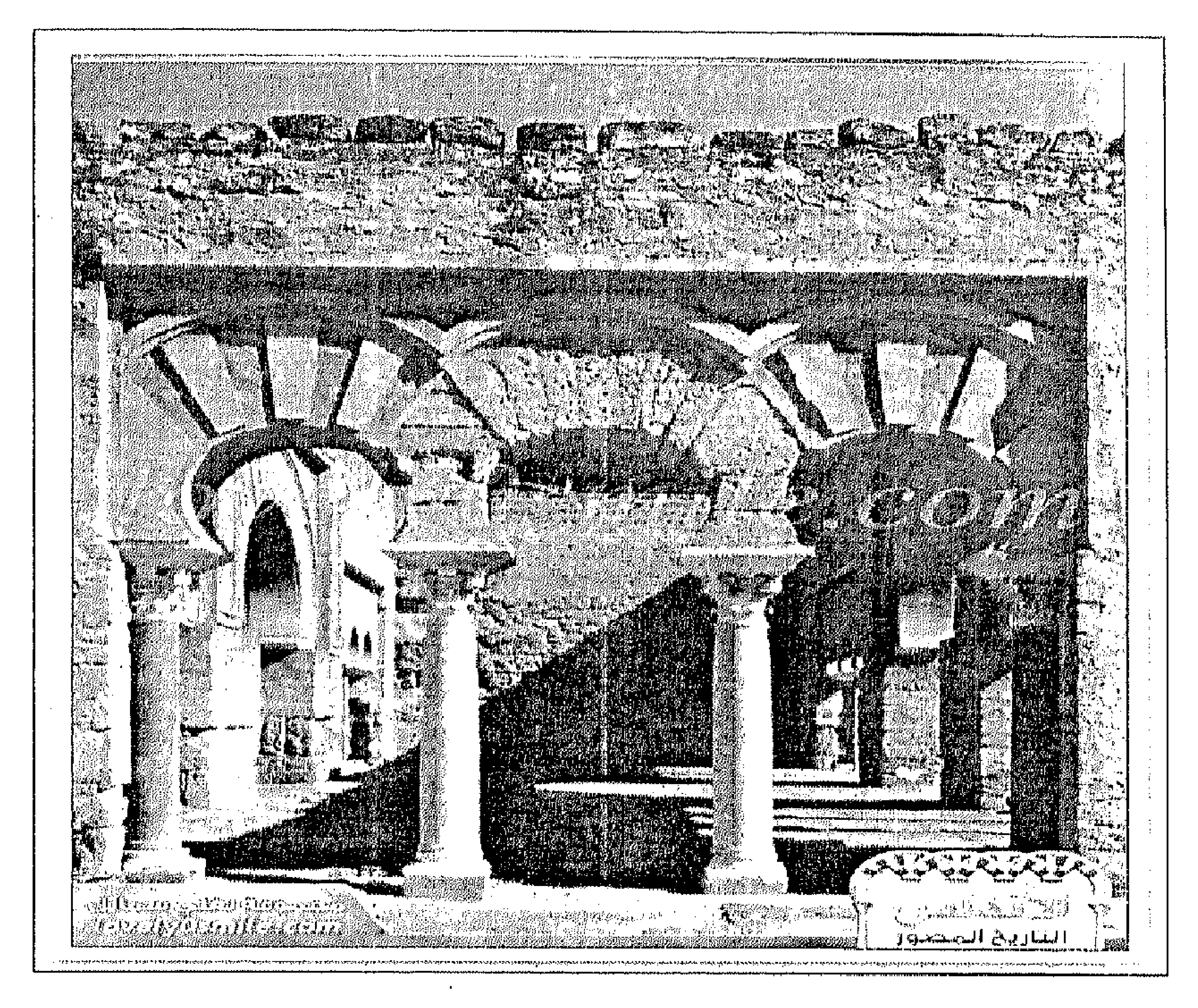
شكل رقم (٣): قصر الخليفة عبد الرحمن الناصر بمدينة الزهراء.



شكل رقم (٤): قاعة الاستقبال بقصر الزهراء عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر.



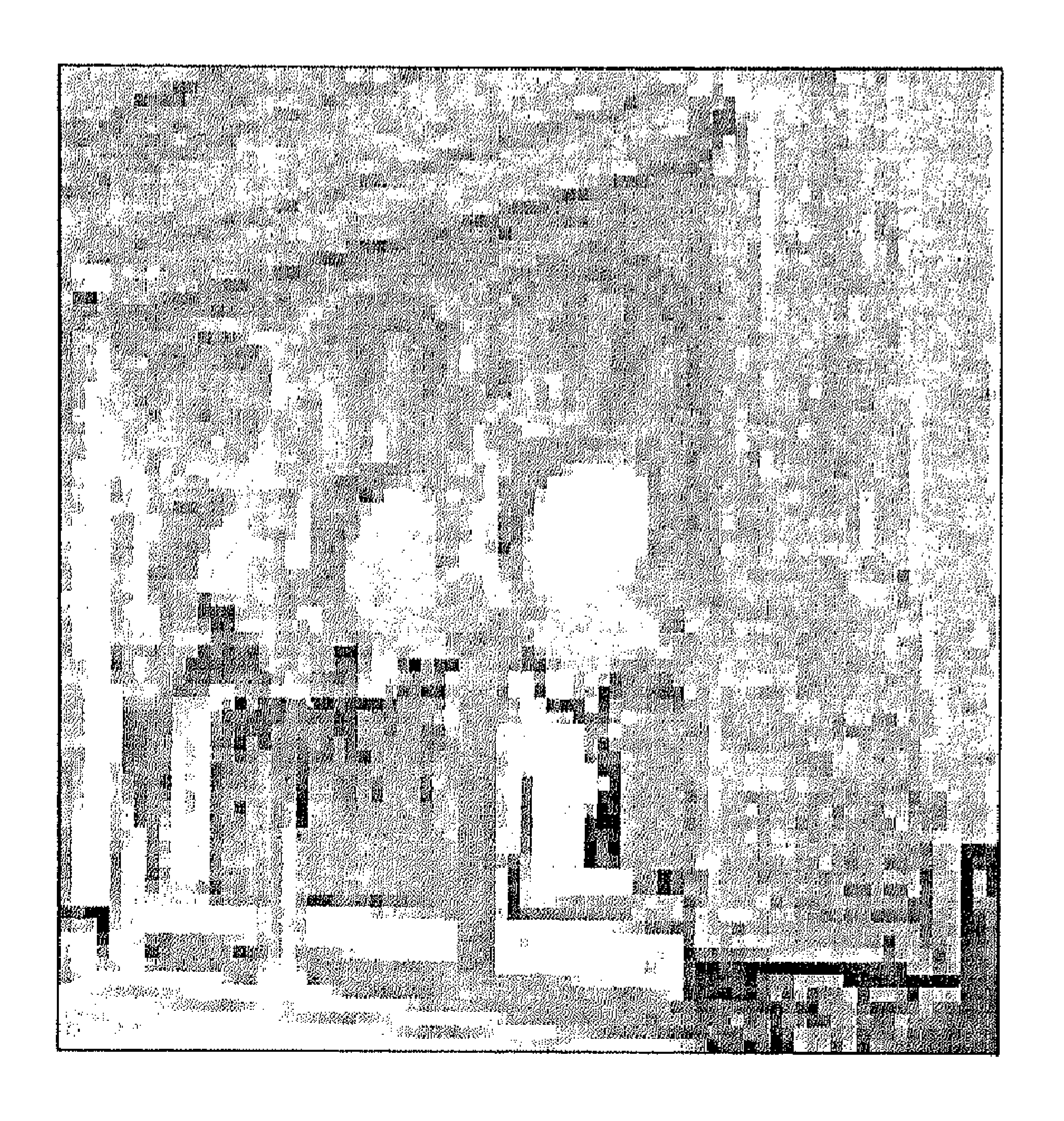
شكل رقم (٥): بقايا غرفة الاستقبال مدينة الزهراء بالأندلس.

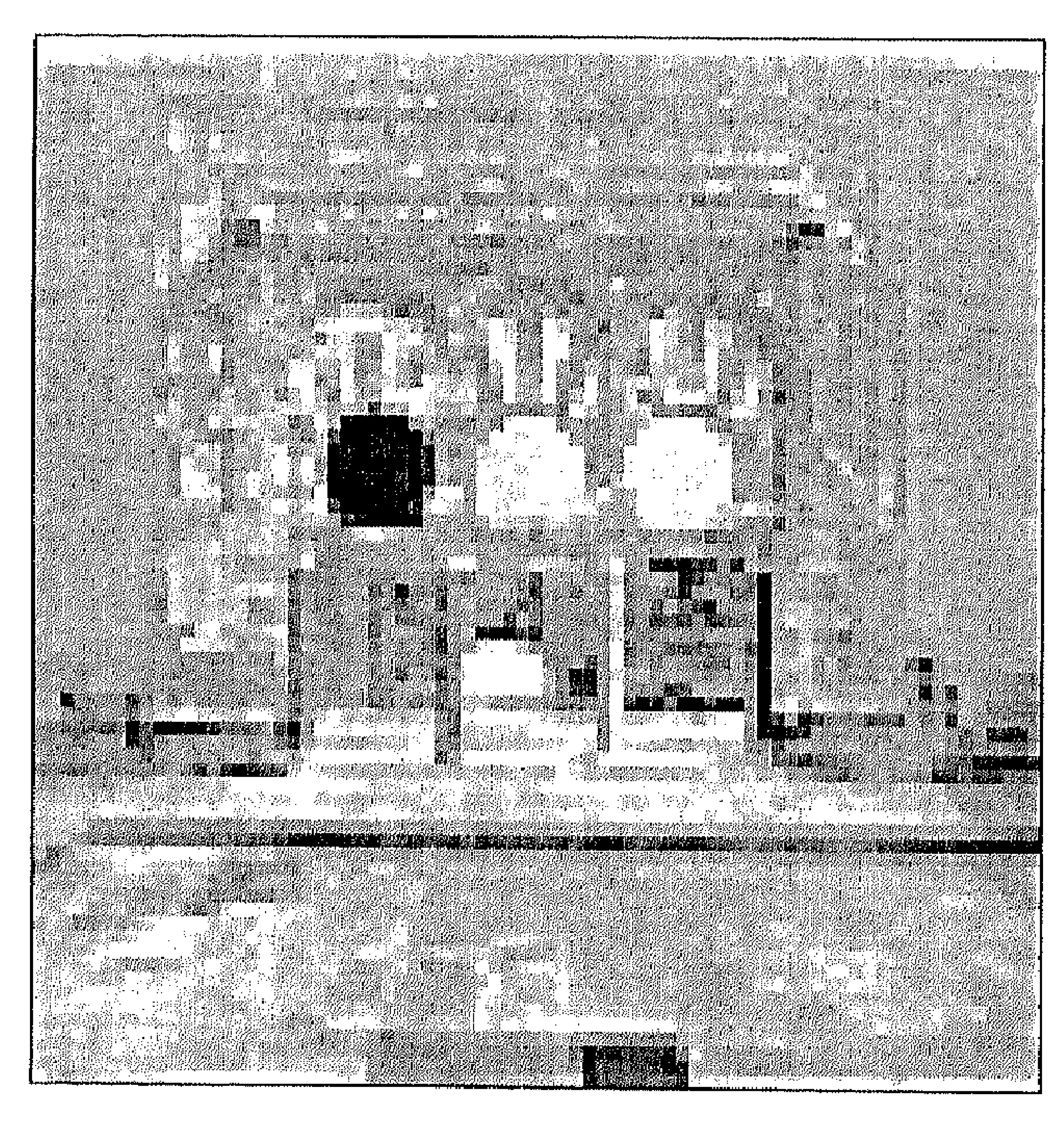


شكل رقم (٦): الجناح الأوسط للقاعة الغربية الكبرى بقصر الزهراء.

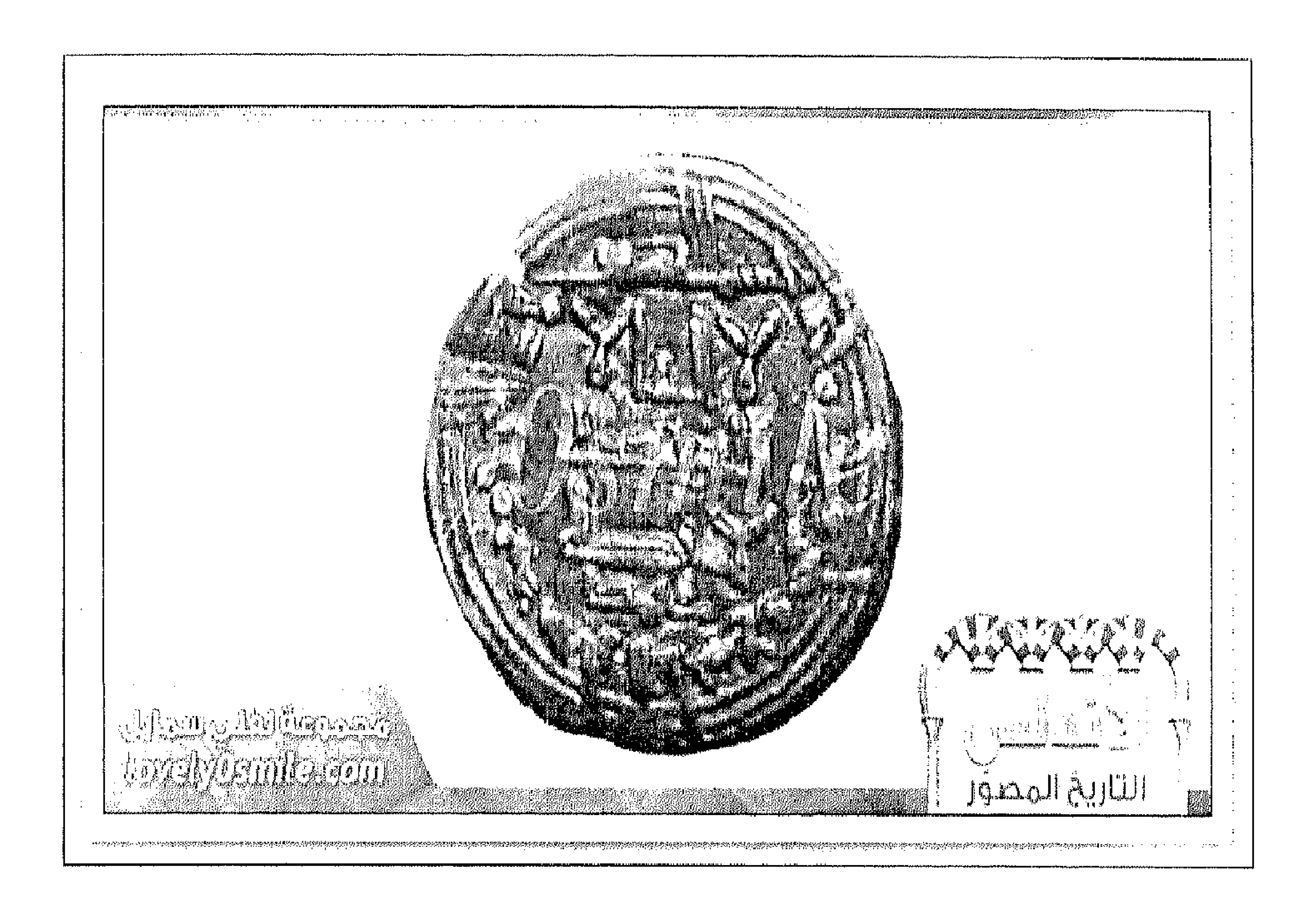


شكل رقم (٧) مسجد قرطبة بالأندلس.





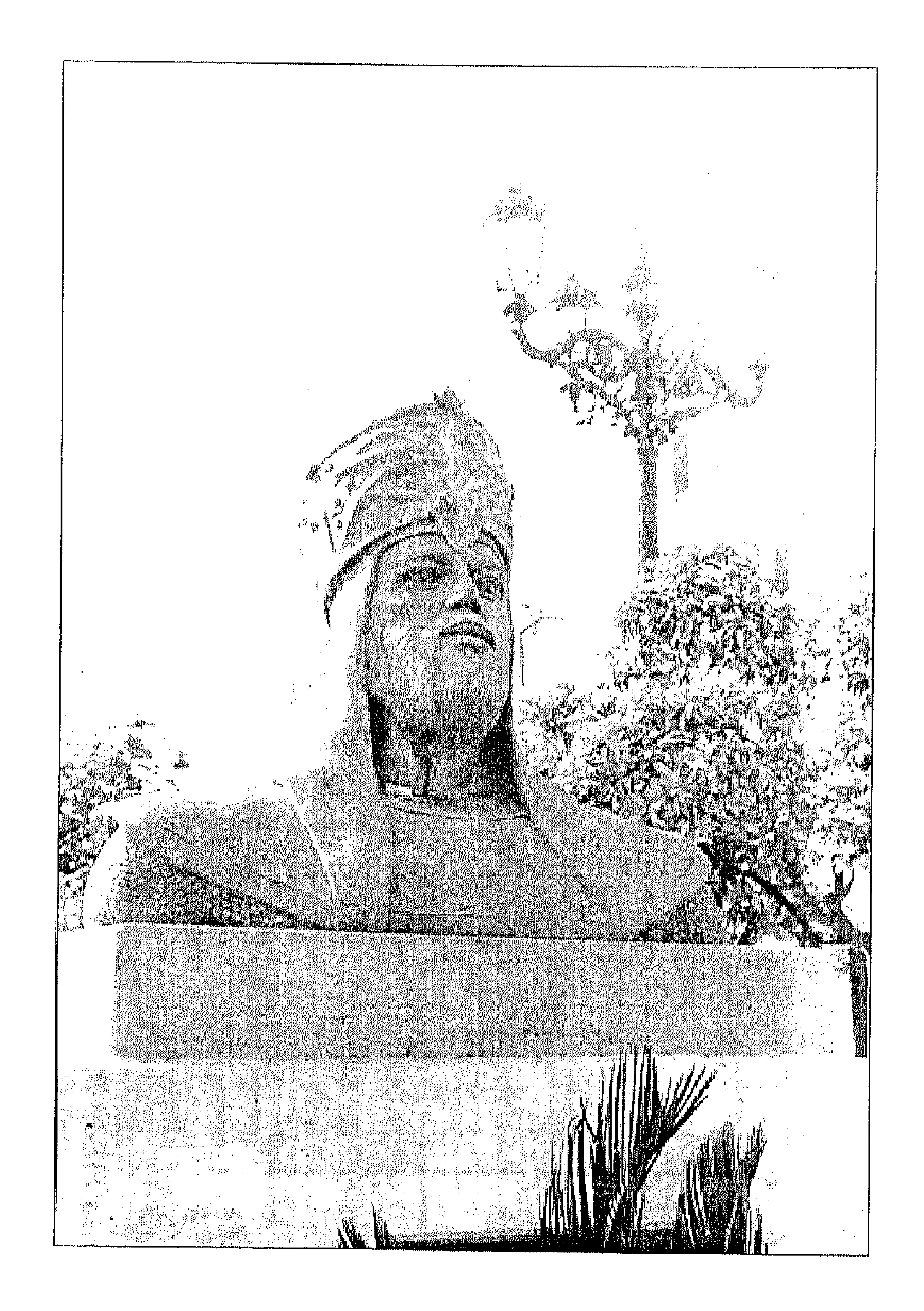
شكل رقم (٨): قصر الوزير جعفر المصحفى.



شكل رقم (٩): درهم من أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر.



شكل رقم (١٠): جيوش محمد ابن أبي عامر أثناء إحدى المعارك.



شكل رقم (١١) تمثال للوزير محمد بن أبى عامر.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

ـ ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).

كتاب الحلة السيراء، الجزء الأول، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م)، ط٢.

ـ ابن الأثير: (محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت: ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م).

الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م)، مج٨.

ـ ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، شرح وتحقيق، نزار رضا (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٥م)، ج ٢.

ـ ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت: ٣٨٠هـ/ ٩٢٢م): صورة الأرض (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م).

ـ الإدريسي: (أبو عبد الله محمد الشريف السبتي، ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م).

ـ المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ليدن: بريل، ١٨٦٣م).

ـ كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م)، مج٢.

ـ ابن بسام: (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني، ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع ـ المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩م)، ط١.

ـ التنوخى: (أبو على المحسن بن على، ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).

الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجى (بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م)، ج٢.

ـ ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٨م).

ـ "رسالة نقط العروس" مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، عدد ديسمبر ١٩٥١م.

ـ الحميدي: (أبو عبد الله بن أبى نصر، ت: ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م).

- الحميري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، نشره: ليفي بروفنسال (القاهرة: ١٩٣٧م).

- ابن حيان: (أبو مروان حيان بن خلف بن حسن بن حيان القرطبي، ت: ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م).
المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي(بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥م).

- الخشني القروي: (أبو عبد الله محمد بن حارث، ت: ٣٦١هـ/ ٩٧١م).
قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الإبياري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م)، ط٢.

- ابن الخطيب: (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).
إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)،ج٢،ق٣، ط٢.

- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩٩م)، مج ٤، ٦، ٧.

- الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد، ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
دولة الإسلام (بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٩٨٥م).

- ابن رسته: (أبو على أحمد بن عمر، ت: بين عامي ٣١٠ و ٣٣٧هـ/ ٩٢٢ و٩٤٨م)، كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣م)، مج ٧.

- ابن أبي زرع: (أبو الحسن على بن عبد الله، ت: ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م).
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (فاس: ١٨٨٥م).

- ابن سعيد: (أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك، ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة: ١٩٥٣ – ١٩٥٥م)، ج١.

- السلاوي: (الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي، ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٨م).
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (القاهرة: د.ت)،ج١.

- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).
الوافي بالوفيات (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م)ج٩، ط١.

- الضبي: (أحمد بن يحيي، ت: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م).
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).

- أبو طالب الدمشقي: (شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة، ت: ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ليبزج: ١٩٢٣م).
ـ ابن عذارى: (أبو العباس أحمد بن عذارى، كان حيًا في سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م)، ط٣.
ـ ابن غالب: (محمد بن أيوب بن غالب، عاش فى ق ٦هـ/ ١٢م).
نص أندلسي جديد (قطعة ك كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس)، تحقيق: لطفي عبد البديع (القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٦م)، ١٤ـ١٥.
ـ ابن الفرضي: (أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف، ت: ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).
تاريخ علماء الأندلس (القاهرة: ١٩٦٦م)، مج١.
ـ ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنه ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، حققها وعلق عليها وقدم لها، سامي الدهان (بيروت: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م).
ـ المراكشي: (محيي الدين عبد الواحد بن علي، ت: ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد السعيد العريان (القاهرة: ١٩٦٣م).
ـ المروزى: (شرف الزمان طاهر المروزى، كتبه نحو سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م): أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، نشره مع ترجمة وتعليق بالإنجليزية: مينورسكى (لندن: ١٩٤٢م).
ـ المقري: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م).
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الأول والثالث، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م).
ـ مؤلف مجهول: (كان حيًا في سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطي منتخبة من المجموع المسمي بكتاب: مفاخر البربر، نشره: إ. ليفي بروفنسال (الرباط: ١٩٣٤م).
ـ ابن مماتي: (أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعد، ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه: عزيز سوريال عطية (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١م)، ط١.
ـ ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م).
معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٧م)، مج ١، ٣، ٤، ٥.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد توني عبد اللطيف: "الواقع السياسي والاجتماعي لدولة يهود الخزر وعلاقتهم بالخلافة الإسلامية (٢٢ - ٣٥٤هـ/ ٦٤٢ - ٩٦٥م)، بحث منشور بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية كلية الآداب جامعة المنيا، عدد ٥٢ أبريل ٢٠٠٤م.
- أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م).
- دنلوب. د.م: تاريخ يهود الخزر، نقله إلى العربية وقدم له، سهيل زكار (دمشق: دار حسان، ١٩٩٠م)، ط٢.
- آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م)
- ارشيبالد. ر. لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال (القاهرة: ١٩٦٠م).
- جودة هلال، محمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م).
- حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨ - ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ - ١٠٣٠م) (القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٤م)، ط١.
- حمدي عبد المنعم حسين: دراسات في التاريخ الأندلسي "دولة بني برزال في قرمونة" (٤٠٤ - ٤٥٩هـ/ ١٠١٣ - ١٠٦٧م) (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م).
- خالد خلف عبد العزيز: السياسة الخارجية لمملكة الخزر منذ بداية القرن التاسع وحتى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ - كلية الآداب- جامعة سوهاج ٢٠٠٢م.
- درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم (الإسكندرية: ١٩٧٤.
- رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٥م).
- رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس أسبانيا الإسلامية، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)ج٢.
- زبيدة محمد عطا: زبيدة محمد عطا: الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون (القاهرة: ١٩٨٥م).

ـ سامية مصطفي مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (٣٠٠ – ٣٩٩هـ/ ٩١٢ – ١٠٠٨م) (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م).
ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعية، ١٩٦١م).
ـ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د. ت).
ـ السيد عبد العزيز سالم: "معالم قرطبة فى شعر ابن زيدون"، بحث منشور فى مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٨٣، ١٩٨٤م، مج ٢٢.
ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م).
ـ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، .
ـ عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس (القاهرة: المطبعة الإسلامية الحديثة، ١٩٩٣م).
ـ عبد الرحمن على الحجى: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية ١٣٨ـ٣٦٦هـ/ ٧٥٥ـ٩٧٦م دراسة تاريخية (الإمارات: المجتمع الثقافي، ٢٠٠٤م).
ـ عبد العزيز عبد المجيد: ابن الأبار حياته وكتبه (جامعة مانشستر، ١٩٥٢م).
ـ عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م) ط٢.
ـ عطية القوصى: اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠١م).
ـ على بن محمد عودة الغامدى: "أضواء جديدة على السفرة الثانية لملك السكسون أوتو الأول إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس" بحث منشور بالندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة حصا (١٧) تاريخ الوطن العربي عبر العصور الوفود والسفارات (القاهرة: ٢٠٠٩م).
ـ محمد سيعد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي (الإمارات ـ دبي: ١٩٨٤م)، ط١.
ـ محمد سعيد محمد: الشعر في قرطبة من منتصف القرن الرابع الهجري إلي منتصف القرن الخامس (أبو ظبي: ٢٠٠٣م).

- محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م).
- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية، العصر الأول - القسم الثاني (القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت).
- محمد عبد الوهاب خلاف: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس (القاهرة: ٢٠٠٤م).
- محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية ٦٤ - ٨٩٧هـ/ ٦٨٣ - ١٤٩٢م دراسة ونصوص(بيروت: ١٩٨٩م)، ط٢.
- محمد محمد مرسي الشيخ: " الفتح النورماني لإنجلترا: ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانديا في العصور الوسطى "، بحث بندوة التاريخ الإسلامي والوسيط (القاهرة: ١٩٨٣م)، مج ٢.
- محمود عرفة محمود: "خطة الشرطة بالأندلس فى عهد الخليفة الحكم المستنصر"، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري- قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة القاهرة، العدد الحادي عشر١٩٩٣م.
- محمود على مكي: "المنصور بن أبى عامر المستبد المنتصر"، بحث منشور فى مجلة العربي، العدد ٢٢٤ يوليو ١٩٧٧م.
- ميخائيل أمارى: تاريخ مسلمي صقلية، إعداد: محب سعد إبراهيم (فلورنسا لي مونيية، ٢٠٠٣م) المجلد الثاني.
- وفاء عبد الله مزروع: "الفيكنج وإغاراتهم على الإمبراطورية الكارولنجية"، بحث منشور بحولية التاريخ الإسلامي والوسيط قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس (القاهرة: ٢٠٠٣م)، مج ٣.

- ثالثًا:الرسائل العلمية:

- خزعل ياسين مصطفي: بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ - ١٠٣٠م)، رسالة دكتوراه غير منشورة - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الموصل - العراق ٢٠٠٤م.
- شيماء فرغلي سيد على: الجريمة والعقوبة فى الأندلس عصر الإمارة الخلافة (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ- كلية الآداب- جامعة القاهرة ٢٠١٠م.

ـ صلاح أحمد عيد : موالي بني أمية في الأندلس وأثرهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الفترة من بداية عصر الإمارة حتى نهاية عهد الحكم المستنصر (١٣٨ – ١٦٦ هـ/ ٧٥٦ – ٩٧٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة المنيا ١٩٩١م.
ـ عطية إسماعيل عطية : رسوم الخلافة الأموية بالأندلس ٣١٦ – ٤٢٢هـ/ ٩٢٩ – ١٠٣١م، رسالة ماجستير غير منشورة – قسم التاريخ – كلية الدراسات العربية – جامعة المنيا ٢٠٠٠م.
ـ نجوى سليم مصطفى هدايت : اليهود في قرطبة فى عصر الخلافة الأموية ٣١٦ـ٤٢٢هـ/ ٩٢٩ـ١٠٣١م، رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.
ـ يحيي أبو المعاطي محمد عباس : الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (٢٣٨ – ٤٨٨ هـ/ ٨٥٢ – ١٠٩٥م)، رسالة دكتوراه غير منشورة ـ قسم التاريخ – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ٢٠٠٠م.

– رابعًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Arellano (Ramirez. De): Histoire de Cordoba (Ludad – Real. 1915 ,1919).
- Ashtor (Eliyahu): the Jews of moslem spain,trans. A.Klein and J.Klein,vol.1 (Philadelphia,1973).
———: "Korot hy-yahudim bisfarad ha- muslmet" Vol.1 Orshalem,1966,also: an Eng. Trans: "The Jews of Moslem spain:, trans. from the Hebrew. Publication cociety of America, Philadelphia,1937),vol.2.
- Bromberg (Ericl); "Wales and the Mediaeval Slave trade" Speculum, Vol.17(America, 1942).
- Cedrenus(G.); "Historiarum Compendium" in : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae, 1838).
- Chalandon (F.); " The Norman kingdom of sicily" in : The Cambridge Medieval History, vol. 5 .
———; "The conquest of south italy and sicily by the Norman" in : The Cambridge medieval history, vol.5 (ed) by : J.R. Tanner (Cambridge, 1968)
- Cohat (yves). Le viking Rois des mers (paris, 1987).
- Danel (Norman): The Arabs and Meadieval of Europe (London,1975).
- Davidson (H.R.E); The Viking; Road to Byzantium (london, 1976).

-Del Rosal, Jesus Pelaez,et la – coordinator& ed "los Judios en cordoba, S.S.X-XII" Endicion El Alemendro,Cordoba,1988,and an Eng. Trans By: Patricia sneesby,(Madrid,1988).

-Dictionnaire Universel d'histoire et de Geographie (Paris, 1880).

-Duchaillu (paul,B.); The Viking age the early History, 2 vols (London, 1889)1.

-Glovin (l.): " Le Maghrib Central a Époque des Zinides" , recherché d'archeologie et d' Histoire (Paris , 1937).

-Idris (H.R.): " Les Birzalides Le Carmona" Al- Andalus,Vol. 30 (1965).

-Julien (Ch.A): "Histoire de l'Afrique Nord" de Puis la Conquete arabe Jusaua (Paris, 1952) T.2.

- Liudprand of Cremona; The works of cremona (ed) by: GG. Coulton and Eileen Power, Eng trans by: F.A. Wright (London, 1930).

-Mark Kohen: "Hasadai Abu Yusuf Ibn Shabrut,(Shafrut,Bashrut)", The Jewish Encyclopaedia, Adesriptive record of the history,Religion,Literature,and Customs of the Jewish people from the Earliest Time to the present day,Vol.6

-Mohammed (Tarek. M.); "The Turkish settlement in Caucasus and steppes Constantine VII's Evidence" Journal of medieval and Islamic history, Vol.2 Issued by : seminar of medieval and Islamic History Ain-shams university (Cairo, 2002).

-Packard (Sidny. R.); "William I and the Norman conquest" Speculum, vol.42 (America,1967).

-Reinaud (M): Invasion des sarazins ex frace, librairie orient (Paris,1964).

-The Columbia Encyclopedia, Vol.I (New York, 1950).

-Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated with introduction and Commentary by: Cyril Magno and Roger Scott (Oxford, 1997).

محتويات الكتاب

هذا الكتاب

يتناول بلاد الأندلس إبان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ودولة بني أمية عهد الخليفتين عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر بالله، وما حظيت به دولتهم من القوة والسطوة، حتى أضحت فوق كل الدول، بما بذلوه من غاية جهدهم لحماية حدودها من أعدائها المتربصين بها. أخذين بأسباب العلم مولين جل اهتمامهم بالعلماء والرجال الأشداء، هؤلاء الذين قامت الدولة على أكتافهم، وفى كتابنا هذا، نماذج من هؤلاء الرجال، فجاء أولهم وهو الوزير والحاجب جعفر بن عثمان المصحفى، والذي كان مستشارًا مقربًا وحاجبًا للخليفة الحكم المستنصر، وولده هشام المؤيد، وقد لعب دورًا بارزًا فى السياسة الداخلية لدولة بني أمية، ثم جاء بعد ذلك الوزير والعالم كبير أطباء وصيادلة الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداى بن شبروط اليهودي، والذي برع براعة متميزة فى مجال الطب والسياسة والدبلوماسية، بما قام به مهام دبلوماسية أوكلها له الخليفة عبد الرحمن الناصر.أما بالنسبة للجزء الثالث من الكتاب فهو يتحدث عن الوزير والقائد الذي أطلق عليه ذو السيفين، وأعظم فرسان الأندلس قاطبة، والدور العسكري الذي قام به على مدار حياته كلها، وما قام به من الفتوحات ضد أعداء الدولة الإسلامية سواء فى شمال الأندلس أو حتى فى الجنوب على أرض المغرب، لنؤكد من خلاله أن دولة بني أمية لم تقم هباءً، ولم تستمر إبان هذا العهد إلا برجال أخلصوا لها، فأخلصت هي لهم، مؤمنين بدينهم وبوطنهم وبعزه ومجده، فنالوا من التقدير والتحية والاجلال الكثير.


ISBN 977-339-304-5
9 789773 393045

